الخلاصة

في شرح الأربعين في الزهد

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ ٢٠١٣ م

حقوق الطبع لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه أربعون حديثاً في الزهد والرقائق انتقيتها من أصح الأحاديث النبوية ، وقمت بذكر الغريب ، ووضعت لكل حديث عنواناً خاصًّا به، وذكرت معنى الحديث وبعض ما يستفاد من الحديث .

عَنْ يونُسَ بْنِ مَيْسَرَةَ الْجُبْلَانِيِّ قَالَ: " لَيْسَ الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَلَا بِإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَلَكِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ تَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِكَ، وَأَنْ يَكُونَ حَالُكَ فِي الْمُصِيبَةِ وَحَالُكَ إِذَا لَمْ تُصَبْ بِهَا سَوَاءً، وَأَنْ يَكُونَ مَادِحُكَ وَذَامُّكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً "[1]

وعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: «أَعْوَنُ الْأَخْلَاقِ عَلَى الدِّينِ الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا وَأَوْشَكُهَا رَدًّا اتِّبَاعُ الْهَوَى وَمِنَ اتِّبَاعِ الْهَوَى الرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا وَمِنَ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا حُبُّ الْمَالِ وَالشَّرَفِ وَمِنْ حُبِّ الْمَالِ وَالشَّرَفِ اسْتِحْلَالُ الْمَحَارِمِ بِغَضَبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَغَضَبُ اللَّهِ الدَّاءُ الَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ إِلَّا رِضْوَانُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرِضْوَانُ اللَّهِ لَا يَضُرُّ مَعَهُ دَاءٌ فَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُرْضِيَ اللَّهَ رَبَّهُ يُسْخِطْ نَفْسَهُ وَمَنْ لَا يُسْخِطْ نَفْسَهُ لَا يُرْضِي رَبَّهُ، وَإِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ كُلَّمَا كَرِهَ مِنْ دِينِهِ شَيْئًا تَرَكَهُ أَوْشَكَ أَنْ لَا يَبْقَى مَعَهُ مِنْ دِينِهِ شَيْءٌ» [2]

---

[1] – شعب الإيمان (١٣/ ٢٥١)(١٠٢٨٩) صحيح مقطوع وقد ورد بحديث مرفوع

[2] – الزهد لأحمد بن حنبل (ص:٣٠١)(٢١٧٧) وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٤١) مختصرا وإسناد المختصر صحيح مقطوع

وعَنْ مُحَمَّد بْنِ مُعَاوِيَةَ الْأَزْرَق قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْد الْعَزِيزِ إِلَى الْحَسَنِ: عَلِّمْني وَأَوْجِزْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ: «أَمَّا مُصْلِحُكَ وَمُصْلَحٌ به عَلَى يَدَيْكَ الزُّهْدُ في الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا الزُّهْدُ في الْيَقِين، وَالْيَقِينُ بالتَّفَكُّرِ، وَالتَّفَكُّرُ بالاعْتبَارِ، وَإِذَا أَنْتَ فَكَّرْتَ في الدُّنْيَا لَمْ تَجدْهَا أَهْلًا أَنْ تَبِيعَ بهَا نَفْسَكَ، وَوَجَدْتَ نَفْسَكَ أَهْلًا أَنْ تَكْرَهَهَا بِهَوَانِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ، وَمَنْزِلُ قُلْعَةٍ»[3]

فالدنيا دار سفر لا دار إقامة ودار ممرّ لا دار مقرٍّ، و دار عبور لا دار سرور، وأنت في الدنيا عُرْضَةُ الأَسْقَامِ وَرَهِينَةُ الأيامِ وأَسِير الْمَنَايَا وَقَرِينُ الرَّزَايَا وَصَرِيعُ الشَّهَوَاتِ وَنُصُب الآفاتِ وَخَلِيفَةُ الأَمْوَاتِ، لا يحرص على الدنيا لبيب، ولا يُسَرُّ بها أريب، وهو على ثقة من فنائها، وغير طامع في بقائها، فكيف تنام عينُ من يخشى البيات وكيف تسكن نفس من تَوَقَّعَ في جميع أموره الممات.[4]

سائلاً المولى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .

وأن ينفع به مؤلفه وقارئه وناشره في الدارين .

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

شمال حمص المحررة في ٢٥ رجب ١٤٣٦ هـ الموافق ل ١٤/ ٥/٢٠١٥ م

❁❁❁❁❁ ❁❁❁❁❁

[3] - الزهد وصفة الزاهدين لابن الأعرابي (ص:١٩)(٣) والزهد لابن أبي الدنيا (ص:١٥٠)(٣٢١) والزهد الكبير للبيهقي (ص:٦٨)(٢٧)

[4] - فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (١/ ١٤،بترقيم الشاملة آليا)

إنما الأعمال بالنيات

-١- عن عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ، قال: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى المِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[٥]

---

٥ - الأحاديث التي اتفق عليها البخاري ومسلم (ص:٢٨)١ - ١ -[ش أخرجه مسلم في كتاب الإمارة بقوله قوله - إنما الأعمال بالنية رقم ١٩٠٧ (إنما الأعمال بالنيات) أي صحة ما يقع من المكلف من قول أو فعل أو كماله وترتيب الثواب عليه لا يكون إلا حسب ما ينويه. و (النيات) جمع نية وهي القصد وعزم القلب على أمر من الأمور. (هجرته) الهجرة في اللغة الخروج من أرض إلى أرض ومفارقة الوطن والأهل مشتقة من الهجر وهو ضد الوصل. وشرعا هي مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام خوف الفتنة وقصدا لإقامة شعائر الدين. والمراد بها هنا الخروج من مكة وغيرها إلى مدينة رسول الله -. (يصيبها) يحصلها. (ينكحها) يتزوجها. (فهجرته إلى ما هاجر إليه) أي جزاء عمله الغرض الدنيوي الذي قصده إن حصله وإلا فلا شيء له] والظاهر أن الحكمة من البدء بهذا الحديث التنبيه على الإخلاص وتصحيح النية من كل طالب علم ومعلم أو متعلم وأن طالب العلم عامة والحديث خاصة بمترلة المهاجر إلى الله تعالى ورسوله -ﷺ

هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين جليل القدر كثير الفوائد لأنه من الأحاديث الجامعة التي عليها مدار الإسلام وقد بين الرسول - ﷺ - في هذا الحديث أن جميع الأعمال الشرعية المفتقرة إلى النية أقوالها وأفعالها الصادرة من كل مؤمن لا تصح ولا تقبل بدون النية. لأن النية هي الأساس والميزان للأعمال والأقوال كلها. فإذا صلحت النية صلح العمل،وإذا فسدت فسد العمل،فإذا كانت النية صالحة والعمل موافقا للشرع فالعمل مقبول وإن كانت يقصد بها غير ذلك فالعمل مردود. ثم إنا لرسول الله - ﷺ - فصل في هذا الحديث بتفصيل! كالمثال بأن من هاجر إلى دار الإسلام حبا لله تعالى. ورغبة في الإسلام وتعلم الدين والعمل به حصل له جزاء ما نوى. وإن كان قصده وهدفه أمورا دنيوية كدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فجزاؤه على حسب مقاصده،والله سبحانه يعلم السر وأخفى،وسيجازى كل عامل بعمله إن خيرا فخير،وان شرا فشر. الخلاصة في شرح الأربعين النووية- علي بن نايف الشحود (ص:٣)

هذا حديث عظيم،جليل القدر كثير الفائدة.

أربع خلال من كن فيه كان منافقا خالصا

٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:" أَرْبَعُ خِلاَلٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا "[٦]

قال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله تعالى:ينبغي لكل من صنّف كتابًا أن يبتدئ فيه بهذا الحديث،تنبيهًا للطالب على تصحيح النية.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى:يدخل في سبعين بابًا من العلم.

وقال البخاري رحمه الله تعالى:باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى،فدخل فيه:الإيمان،والوضوء،والصلاة،والزكاة،والحج،والصوم،والأحكام.

قوله:«إنما الأعمال بالنيات» ،إنما للحصر،أي:لا يعتد بالأعمال بدون النية. «وإنما لكل امرئ ما نوى» .

قال ابن عبد السلام:الجملة الأولى لبيان ما يعتبر مِنَ الأعمال،والثانية لبيان ما يترتب عليها. انتهى.

والنية:هي القصد،ومحلها القلب.

قوله:«فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله،فهجرته إلى الله ورسوله» ،أي من كانت هجرته إلى الله ورسوله نية وقصدًا،فهجرته إلى الله ورسوله حكمًا وشرعًا. «ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» .

قال ابن دقيق العيد:نقلوا أن رجلاً هاجر من مكة إلى المدينة لا يريد بذلك فضيلة الهجرة،وإنما هاجر ليتزوج امرأة تسمى أم قيس،فلهذا خص في الحديث ذكر المرأة دون سائر ما ينوى به.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني:من نوى بهجرته مفارقة دار الكفر وتزوج المرأة معًا،فلا تكون قبيحة ولا غير صحيحة،بل هي ناقصة بالنسبة إلى من كانت هجرته خالصة. والله أعلم. تطريز رياض الصالحين (ص:١٠)

[٦] - صحيح البخاري (٤/ ١٠٢) (٣١٧٨) [ش (خلال) جمع خلة وهي الخصلة والصفة]

النفاق أساس الشر. وهو أن يظهر الخير،ويبطن الشر. هذا الحدُّ يدخل فيه النفاق الأكبر الاعتقادي،الذي يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر. وهذا النوع مُخرج من الدين بالكلية،وصاحبه في الدَّرْك الأسفل من النار. وقد وصف الله هؤلاء المنافقين بصفات الشر كلها:من الكفر،وعدم الإيمان،والاستهزاء بالدين وأهله،والسخرية منهم،والميل بالكلية إلى أعداء الدين؛ لمشاركتهم لهم في

عداوة دين الإسلام. وهم موجودون في كل زمان،ولاسيما في هذا الزمان الذي طغت فيـه المادية والإلحاد والإباحية.

والمقصود هنا:القسم الثاني من النفاق الذي ذكر في هذا الحديث فهذا النفاق العملي – وإن كان لا يخرج من الدين بالكلية – فإن دهليز الكفر،ومن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع فقد اجتمع فيـه الشر،وخلصت فيه نعوت المنافقين،فإن الصدق،والقيام بالأمانات،والوفاء بالعهود،والورع عن حقوق الخلق هي جماع الخير،ومن أخص أوصاف المؤمنين. فمن فقد واحدة منها فقد هدم فرضاً من فروض الإسلام والإيمان،فكيف بجميعها؟.

فالكذب في الحديث يشمل الحديث عن الله والحديث عن رسول الله ﷺ الذي من كـذب عليـه معتمداً فليتبوأ مقعده من النار {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} [الصـف:٧] ، يشـمل الحديث عما يخبر به من الوقائع الكلية والجزئية. فمن كان هذا شأنه فقد شارك المنافقين في أخـص صفاتهم،وهي الكذب الذي قال فيه النبي ﷺ:"إياكم والكذب،فإن الكذب يهدي إلى الفجـور،وإن الفجور يهدي إلى النار. ولا يزال الرجل يكذب ويتحرّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"١ ومن كان إذا ائتمن على الأموال والحقوق والأسرار خانها،ولم يقم بأمانته،فأين إيمانه؟ وأين حقيقة إسلامه؟ وكذلك من ينكث العهود التي بينه وبين الله،والعهود التي بينه وبين الخلق متصف بصفة خبيثة مـن صفات المنافقين. وكذلك من لا يتورع عن أموال الخلق وحقوقهم،ويغتنم فرصها،ويخاصـم فيهـا بالباطل ليثبت باطلاً،أو يدفع حقاً. فهذه الصفات لا تكاد تجتمع في شخص ومعه من الإيمان ما يجزي أو يكفي،فإنها تنافي الإيمان أشد المنافاة.

واعلم أن من أصول أهل السنة والجماعة:أنه قد يجتمع في العبد خصال خير وخصال شر،وخصـال إيمان وخصال كفر أو نفاق. ويستحق من الثواب والعقاب بحسب ما قام به من موجبات ذلك وقد دلّ على هذا الأصل نصوص كثيرة من الكتاب والسنة. فيجب العمل بكـل النصوص،وتصـديقها كلها. وعلينا أن نتبرأ من مذهب الخوارج الذين يدفعون ما جاءت به النصوص:من بقاء الإيمان وبقاء الدين،ولو فعل الإنسان من المعاصي ما فعل،إذا لم يفعل شيئاً من المنكرات التي تخرج صاحبها مـن الإيمان. فالخوارج يدفعون ذلك كله،ويرون من فعل شيئاً من الكبائر ومن خصال الكفر أو خصـال النفاق خارجاً من الدين،مخلداً في النار. وهذا مذهب باطل بالكتاب والسنة،وإجماع سلف الأمـة. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ط الرشد (ص:٢٥)

-٣ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ، مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «التَّقْوَى، وَحُسْنُ الْخُلُقِ» ، وَسُئِلَ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟ قَالَ: " الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ، وَالْفَرْجُ "[7].

إن الدنيا حلوة خضرة

-٤ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا فِتْنَةَ الدُّنْيَا، وَفِتْنَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ فِتْنَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»[8]

---

[7] - سنن ابن ماجه (٢/ ١٤١٨)(٤٢٤٦) حسن

" أَتَدْرُونَ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟) أَيْ:مَا أَكْثَرُ أَسْبَابِ إِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ مَعَ الْفَائِزِينَ (تَقْوَى اللَّهِ) :وَأَقَلُّهَا التَّقْوَى عَنِ الشِّرْكِ،وَأَعْلَاهَا عَنْ خُطُورِ مَا سِوَى اللَّهِ (وَحُسْنُ الْخُلُقِ) . أَيْ:مَعَ الْخَلْقِ،وَأَدْنَاهُ تَرْكُ أَذَاهُمْ،وَأَعْلَاهُ الْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ،وَفِيهِ مُبَادَرَةٌ إِلَى الْجَوَابِ حَيْثُ يَعْلَمُ جَهْلَ أَهْلِ الْخِطَابِ،وَفَائِدَةُ إِيرَادِ السُّؤَالِ أَوَّلًا إِبْهَامٌ وَتَفْصِيلٌ وَهُمَا يُوجِبَانِ إِيقَاعَ الْكَلَامِ وَتَأْثِيرَهُ فِي النُّفُوسِ أَكْثَرَ. («أَتَدْرُونَ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ الْأَجْوَفَانِ») أَيْ:الْمُجَوَّفَانِ أَوِ الْمُعْتَلَّانِ الْوَسَطِ عِلَّةً مَعْنَوِيَّةً (الْفَمُ وَالْفَرْجُ) ؛ لِأَنَّ الْمَرْءَ غَالِبًا بِسَبَبِهِمَا يَقَعُ فِي مُخَالَفَةِ الْخَالِقِ وَتَرْكِ الْمُخَالَفَةِ مَعَ الْمَخْلُوقِ،وَبِهِ يَظْهَرُ الِارْتِبَاطُ بَيْنَ الْقَرِينَتَيْنِ مِنَ الْكَلَامِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْمَرَامِ. وَقَالَ الطِّيبِيُّ قَوْلُهُ:تَقْوَى اللَّهِ إِشَارَةٌ إِلَى حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ مَعَ الْخَالِقِ بِأَنْ يَأْتِيَ جَمِيعَ مَا أَمَرَهُ بِهِ،وَيَنْتَهِيَ عَمَّا نَهَى عَنْهُ،وَحُسْنُ الْخُلُقِ إِشَارَةٌ إِلَى حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ مَعَ الْخَلْقِ،وَهَاتَانِ الْخَصْلَتَانِ مُوجِبَتَانِ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ،وَنَقِيضُهُمَا النَّارُ،فَأَوْقَعَ الْفَمَ وَالْفَرْجَ مُقَابِلًا لَهُمَا،أَمَّا الْفَمُ فَمُشْتَمِلٌ عَلَى اللِّسَانِ وَحِفْظُ مَلَاكِ أَمْرِ الدِّينِ كُلِّهِ،وَأَكْلُ الْحَلَالِ رَأْسُ التَّقْوَى كُلِّهِ،وَأَمَّا الْفَرْجُ فَصَوْنُهُ مِنْ أَعْظَمِ مَرَاتِبِ الدِّينِ قَالَ تَعَالَى:{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} [المؤمنون:٥] ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الشَّهْوَةَ أَغْلَبُ الشَّهَوَاتِ عَلَى الْإِنْسَانِ،وَأَعْصَاهُ عَلَى الْعَقْلِ عِنْدَ الْهَيَجَانِ،وَمَنْ تَرَكَ الزِّنَا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَعَ الْقُدْرَةِ وَارْتِفَاعِ الْمَوَانِعِ،وَتَيَسُّرِ الْأَسْبَابِ لَا سِيَّمَا عِنْدَ صِدْقِ الشَّهْوَةِ وَصَلَ إِلَى دَرَجَةِ الصِّدِّيقِينَ قَالَ تَعَالَى:{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى - فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات:٤٠ - ٤١] وَقِصَّةُ الرَّشِيدِ فِي تَعْلِيقِ طَلَاقِ زُبَيْدَةَ مَعَ الْإِمَامِ أَبِي يُوسُفَ مَشْهُورَةٌ،وَمَعْنَى الْأَكْثَرِيَّةِ فِي الْقَرِينَتَيْنِ أَنَّ أَكْثَرَ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ الْجَمْعُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْخَلَّتَيْنِ،وَأَنَّ أَكْثَرَ أَسْبَابِ الشَّقَاوَةِ السَّرْمَدِيَّةِ الْجَمْعُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ.مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٣٠٣٦)

اللهم إني أسألك الهدى والتقى

٥ - عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى».[٩]

---

[٨] - مستخرج أبي عوانة (٣/ ١٥) (٤٠٢٧) صحيح

قال الطحاوي رحمه الله:" بَابُ بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِه:" مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ "،وَمِنْ قَوْلِه:" لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ،وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ "

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ ".

فَقَالَ قَائِلٌ:فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا قَدْ ذَكَرْتُمُوهُ عَنْهُ فِيهِ،وَقَدْ رُوِّيتُمْ عَنْهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ. فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:" لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ،وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ "

قَالَ:فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِهِ الْمَالُ،فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِتْنَةُ النِّسَاءِ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ؟

فَكَانَ جَوَابُنَا لَهُ فِي ذَلِكَ:أَنَّ قَوْلَهُ -:" مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ " هُوَ عَلَى الْفِتْنَةِ الَّتِي تَلْحَقُ الرِّجَالَ دُونَ النِّسَاءِ،وَفِي ذَلِكَ مَا قَدْ دَلَّ أَنَّهُ تَرَكَ - فِي أُمَّتِهِ فِتَنًا سِوَى النِّسَاءِ،وَكَانَ قَوْلُهُ -:" فِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ " عَلَى فِتْنَةٍ تَعُمُّ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ مِنْ أُمَّتِهِ،فَكَانَتْ تِلْكَ الْفِتْنَةُ أَوْسَعَ وَأَكْثَرَ أَهْلًا مِنَ الْفِتْنَةِ الْأُخْرَى،وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا فَأَهْلُهَا الْأَهْلُ الَّذِينَ قَدْ دَلَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ عَلَيْهِمْ مَنْ هُمْ،وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ - مِنْ تَحْذِيرِهِ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَمِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ. فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:" إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ،وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا،فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ،فَاتَّقُوا فِتْنَةَ الدُّنْيَا وَفِتْنَةَ النِّسَاءِ،فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالنِّسَاءِ " فَكَانَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ذِكْرُهُ فِتْنَةَ النِّسَاءِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي حَدِيثِ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ،وَذِكْرُ فِتْنَةِ الدُّنْيَا،وَفِيهَا الْفِتْنَةُ بِالْمَالِ الْمَذْكُورَةُ فِي حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ وَالْفِتَنُ بِمَا سِوَى ذَلِكَ،وَاللهُ الْمُوَفِّقُ." شرح مشكل الآثار (١١/ ٩٩) (٤٣٢٢ - ٤٣٢٦)

[٩] - صحيح مسلم (٤/ ٢٠٨٧)٧٢ - (٢٧٢١)

[ش (العفاف) العفاف والعفة هو التنزه عما لا يباح والكف عنه (الغنى) الغنى هنا غنى النفس والاستغناء عن الناس وعما في أيديهم]

هذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها. وهو يتضمن سؤال خير الدين وخير الدنيا؛ فإن "الهدى" هو العلم النافع. و"التقى" العمل الصالح،وترك ما نهى الله ورسوله عنه. وبذلك يصلح الدين. فإن الدين علوم نافعة،ومعارف صادقة. فهي الهدى،وقيام بطاعة الله ورسوله:فهو التقى. و"العفاف والغنى"

اتقوا الله ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم

٦ – عن أبي أُمَامَةَ، قال: سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّة الوَدَاعِ فَقَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»[10]

ليس عندي ما أعطيك إلا درعي

٧ – عَنْ تَمِيمِ بْنِ طَرَفَةَ، قَالَ: جَاءَ سَائِلٌ إِلَى عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، فَسَأَلَهُ نَفَقَةً فِي ثَمَنِ خَادِمٍ – أَوْ فِي بَعْضِ ثَمَنِ خَادِمٍ – فَقَالَ: لَيْسَ عِنْدِي مَا أُعْطِيكَ إِلَّا دِرْعِي، وَمِغْفَرِي، فَأَكْتُبُ إِلَى أَهْلِي أَنْ يُعْطُوكَهَا، قَالَ: فَلَمْ يَرْضَ، فَغَضِبَ

يتضمن العفاف عن الخلق،وعدم تعليق القلب بهم. والغنى بالله وبرزقه،والقناعة بما فيه،وحصول ما يطمئن به القلب من الكفاية. وبذلك تتم سعادة الحياة الدنيا،والراحة القلبية،وهي الحياة الطيبة.

فمن رزق الهدى والتقى،والعفاف والغنى،نال السعادتين،وحصل له كل مطلوب. ونجا من كل مرهوب. والله أعلم.بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص:١١١)

[10] – سنن الترمذي ت شاكر (٢/ ٥١٦)(٦١٦) صحيح

(اتقوا الله وصلوا خمسكم) عطف على مقدر أي اتقوه في كل شيء،وصلوا تخصيص بعد التعميم،ويحتمل أنه استئناف ونسبها إليهم لتعلق الوجوب بهم،وملابسة الإتيان بها منهم (وصوموا شهركم) أراد به رمضان،ونسبه إليهم لذلك،وأطلقه للعلم به،(وأدوا زكاة أموالكم) اشتمل الحديث على الثلاثة من أركان الإسلام،ولم يذكر الحج كأنه قبل فرضه،أو لأن هذه الأمور لتكررها كل يوم،وكل عام تثقل أداؤها،فخصّها بالأمر والتوصية وقد ذكر الحج في رواية أخرى،ورواه الخلعي في فوائده بلفظ:"وحجوا بيت ربكم"،وأما الشهادتان فهذه الأمور فروعها لا يتم إلا فيمن يأتي بها أولاً (وأطيعوا ذا أمركم) صاحب الأمر فيكم،والمراد به السلطان والأمر بطاعته فيما هو طاعة،وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق،كما قيدته الأحاديث الكثيرة (تدخلوا جنة ربكم) جزم في جواب الأمر أي إن فعلتم ذلك دخلتم الجنة التي لربكم،ولا حق لكم فيها،ولذا أضافها الله تعالى،ويأتي أن دخول الجنة لا يكون بمجرّد العمل كما يفيده هذا الحديث،وأمثاله،ويأتي أيضًا أن العدة بدخول الجنة لا ينافيها العقاب على الذنوب قبل ذلك .التنوير شرح الجامع الصغير (١/ ٣٢٧)

بدأ بالتقوى لأنها الأساس؛ لتناولها فعل سائر المأمورات،وترك سائر المناهي،وعطف عليها ما بعدها وهو من عطف العام على الخاص،والله أعلم.تطريز رياض الصالحين (ص:٦٩)

عَديٌّ، فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ لَا أُعْطِيكَ شَيْئًا، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ رَضِيَ، فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، ثُمَّ رَأَى أَتْقَى لِلَّهِ مِنْهَا، فَلْيَأتِ التَّقْوَى"مَا حَنَّثْتُ يَمِينِي "[11]

من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد

٨ – عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»[12]

---

[11] – تهذيب صحيح مسلم- علي بن نايف الشحود (ص:٥٨٩)(١٦٥١)[ش (درعي ومغفري) الدرع قميص م زرد الحديد يلبس وقاية من سلاح العدو مؤنث وقد يذكر جـ دروع وأدرع ودراع والمغفر زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة جـ مغافر (ما حنثت يميني) أي ما جعلتها ذات حنث بل جئت بارا بها وافيا بموجبها]

يعني أن من حلفَ على فعل شيء أو تركه،فرأى غيره خيرًا من التمادي على اليمين واتقى الله،فَعَلَهُ وَكفَّر عن يمينه.تطريز رياض الصالحين (ص:٦٩)

[12] – الأحاديث التي اتفق عليها البخاري ومسلم (ص:٣٥٨)(٢٦٩٧ – ١٠٠٩ – [ش أخرجه مسلم في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور رقم ١٧١٨. (أحدث) اخترع. (أمرنا هذا) ديننا هذا وهو الإسلام. (ما ليس فيه) مما لا يوجد في الكتاب أو السنة ولا يندرج تحت حكم فيهما أو يتعارض مع أحكامها وفي بعض النسخ (ما ليس منه). (رد) باطل ومردود لا يعتد به]

يرشدنا هذا الحديث على أن كل من تعبد بشيء لم يشرعه الله ورسوله أو أحدث في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله السنة أو القواعد العامة فإن ذلك مردود على صاحبه وهو آثم في ذلك وكل شيء من المعاملات إذا حدث فيه ما يفسد العقد لمخالفته الحكم الشرعي يجب رده على صاحبه فليحذر كل مسلم الابتداع في الدين وليتمسك بهدي سيد المرسلين – ﷺ –.الخلاصة في شرح الأربعين النووية- علي بن نايف الشحود (ص:١٧)

وأما حديث عائشة:فإن قوله – ﷺ –:"مَنْ أَحْدَثَ فِي أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد – أو مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رد" فيدل بالمنطوق وبالمفهوم.

أما منطوقه:فإنه يدل على أن كل بدعة أحدثت في الدين ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة،سواء كانت من البدع القولية الكلامية،كالتجهم والرفض والاعتزال وغيرها،أو نم البدع العملية كالتعبد لله بعبادات لم يشرعها الله ولا رسوله. فإن ذلك كله مردود على أصحابه. وأهله مذمومون بحسب

وعَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: سَأَلْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ، عَنْ رَجُلٍ لَهُ ثَلَاثَةُ مَسَاكِنَ، فَأَوْصَى بِثُلُثِ كُلِّ مَسْكَنٍ مِنْهَا، قَالَ: يُجْمَعُ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي مَسْكَنٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَتْنِي عَائِشَةُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[١٣]

بدعهم وبُعدها عن الدين. فمن أخبر بغير ما أخبر الله به ورسوله،أو تعبد بشيء لم يأذن لم يأذن الله به ورسوله و لم يشرعه:فهو مبتدع. ومن حرَّم المباحات،أو تعبد بغير الشرعيات:فهو مبتدع.

وأما مفهوم هذا الحديث :فإن من عمل عملاً،عليه أمر الله ورسوله – وهو التعبد لله بالعقائد الصحيحة،والأعمال الصالحة:من واجب ومستحب:فعمله مقبول،وسعيه مشكور.

ويستدل بهذا الحديث على أن كل عبادة فعلت على وجه منهي عنه فإنها فاسدة؛ لأنه ليس عليها أمر الشارع،وأن النهي يقتضي الفساد. وكل معاملة نهى الشارع عنها فإنها لاغية لا يعتد بها.بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص:٦)

[١٣] – تهذيب صحيح مسلم- علي بن نايف الشحود (ص:٦١٨)(١٧١٨)

[ش (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها فإذا احتج عليه بالرواية الأولى يقول أنا ما أحدثت شيئا فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات سواء أحدثها الفاعل أو سبق بإحداثها وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به]

هذا حديث جليل،وأصل عظيم في الشريعة،وقاعدة من قواعد الإسلام العظمى.

فقد أبان أن كل أمر ليس من شرع اللَه تعالى،وكل عمل لا يقوم على أمر الله،فهو مردود باطل،لا يعتد به ولا بما يترتب عليه،فهذا من جوامع كلمه ﷺ،جعله مقياساً لجميع الأمور والأعمال فما كان منها على مراد اللَه وشرعه،فهي المقبولة. وما كان على غيرِ أمره ولا شرعه،فهي المردودة.

ما يستفاد من الحديث:

١- قال النووي:" وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام،ومن جوامع كلمه ﷺ.

٢-وقال أيضاً:فإنه (أي:الحديث) صريح في رد كل البدع والمخترعات.

٣- وقال أيضاً:" وفي هذا الحديث دليل لمن يقول من الأصوليين إن النهي يقتضي الفساد ".

٤- وقال أيضا:"وهذا الحديث ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به ".

٥- وفيه دليل على أن الأصل في العبادات الحظر،فلا يشرع منها ولا يزاد فيها إلا ما شرعه الله ورسوله.

مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِه

-٩ - عن الْمِقْدَامَ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ، فَثُلُثُ طَعَامٍ، وَثُلُثُ شَرَابٍ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ .[١٤]

٦- قال النووي أيضاً:(فيه دليل على أن المأخوذ بالعقد الفاسد يجب رده على صاحبه ولا يملك) .

ويدل عليه أيضا حديث (وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة) .

فقال عليه الصلاة والسلام:" الوليدة والغنم رَدٌّ عليك ".

٧- قال النووي أيضا:" وفيه دليل على من ابتدع في الدين بدعة لا توافق الشرع فإثمها عليه،وعمله مردود عليه،وأنه يستحق الوعيد ".

٨- قال شيخنا "عبد الرحمن بن سعدي":[ووجه مناسبة هذا الحديث لهذا الباب:أنه لو تبين أن حكم القاضي مخالف لأمر الرسول فإنه يرد،وأن القضاء يترتب على أحكام الشرع،فلا يلتفت إلى ما يحدثه القضاة] .

٩- قال الصنعاني:يفيد أن كل عمل ليس عليه أمره ﷺ مردود،والذي عليه هو كل ما دل عليه الكتاب والسنة،وليس محدثاً مبدعا في الدين،فإنه مردود على فاعله وكل أمر كان عليه أمره ﷺ فإنه مقبول. فإن هذا الحديث نصف العلم،بل العلم كله،إذ منطوقه دال على رد كل عمل لم يكن عليه أمره ﷺ،ومفهومه أفاد أن كل عمل كان عليه أمره ﷺ مقبول.تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (ص:٦٩٨)

[١٤] - يرشدنا النبي الكريم - ﷺ - إلى أصل من أصول الطب،وهي الوقاية التي يقي بها الإنسان صحته،وهي التقليل من الأكل بل يأكل بقدر ما يسد رمقه ويقويه على أعماله اللازمة،وإن شر وعاء مليء هو البطن لما ينتج عن الشبع من الأمراض الفتاكة التي لا تحصى عاجلا أو آجلا باطنا أو ظاهرا،ثم إن الرسول - ﷺ - قال:إذا كان الإنسان لابد له من الشبع،فليجعل الأكل بمقدار الثلث،والثلث الآخر للشرب،والثلث للنفس حتى لا يحصل عليه ضيق وضرر،وكسل عن تأدية ما أوجب الله عليه في أمر دينه أو دنياه {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف:٣١] ، فعلى الإنسان أن يتأدب بالآداب الشرعية،ويمتثل أمر الرسول - ﷺ -،وأن يحافظ على صحته،فإنه كما قيل:الوقاية خير من العلاج،وكما قيل:المعدة بيت الداء.

ما يرشد إليه الحديث:

مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيه

-١٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»[١٥]

---

(١) عدم التوسع في الأكل والشرب،وهذا أصل جامع لأصول الطب كلها،لو استعمله الناس لتعطلت دكاكين الصيادلة لأن أصل كل داء التخمة،فهذا بعض منافع قلة الغذاء وترك التملؤ من الطعام بالنسبة إلى صحة البدن،وأما منافعها بالنسبة إلى القلب،فهي أنها توجب رقة القلب وقوة الفهم وانكسار النفس،وضعف الهوى والغضب،بخلاف التوسع في الأكل والشرب فإنه يثقل البدن ويزيل الفطنة،ويجلب النوم،ويضعف صاحبه عن العبادة ..

(٢) أن يجعل أكله وشربه بمقدار ثلث للطعام وثلث للشراب،وثلث للنفس.

(٣) إن من زاد عن هذا التقدير،فقد خالف ما أرشد إليه النبي – ﷺ –.

(٤) إن في هذا الحديث الإرشاد إلى الوقاية التامة لصيانة صحة الإنسان.

(٥) إن من لم يعمل بما في هذا الحديث فقد عرض نفسه للأمراض الفتاكة عاجلا أو آجلا.

(٦) بيان الأدب الشرعي الذي ينبغي أن يكون عليه الآكلُ في مقدار أكله.

(٧) التحذير من ملء البطن؛ لِمَا يجلبه من الأمراض والكسل والخمول.

(٨) أنَّ الكفايةَ تحصل بما يكون به بقاء الحياة.الخلاصة في شرح الأربعين النووية– علي بن نايف الشحود (ص:١٥٣)

قال العلامة ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم:وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها،وقد روي أن ابن ماسويه لما قرأ هذا الحديث في كتاب أبي خيثمة قال:لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام ولتعطلت المارشايات،ودكاكين الصيادلة. وإنما قال هذا لأن أصل كل داءٍ التخم. والله أعلم . فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (٢ / ٣٣٨٣) وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب – (٢ /

[١٥] – صحيح ابن حبان – مخرجا (١/ ٤٦٦) (٢٢٩) صحيح

ومالا يعني المرء قد يكون شيئا في خاصة نفسه كالمنهي عنه (الحرام والمكروه والشّبهة) وقد يكون في علاقته بالناس،وهذا الأخير الذي نقصده في كلامنا عن كف الأذى عن الناس.

ويدخل في هذا احترام خصوصيات الناس،وعدم التجسس عليهم،وعدم تتبع عوراتهم،وترك الخوض فيما لا ينفك في الدنيا ولا في الآخرة،وأَوْلَى من ذلك ترك الخوض فيما يضرك فيهما. ولهذه القاعدة

تطبيقات كثيرة يستطيع المرء أن يتتبعها بنفسه،وخير وسيلة لإدراك هذه القاعدة هي أن تسأل نفسك في كل قول أو فعل:ما فائدة هذا؟ فإن لم تكن له فائدة أو كان فيه ضرر فهو ممالا يعنيك.

والاشتغال بما لا يعني والتطفل على الناس غالبا ما يقترن بالتفريط في أمر النفس،وما يعنيها،ولذلك فهو علامة خذلان من الله تعالى للعبد،قال تعالى:{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [الحشر:١٩].

قال ابن رجب الحنبلي:[وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ الْأَدَبِ،وَقَدْ حَكَى الْإِمَامُ أَبُو عَمْرِو بْنُ الصَّلَاحِ،عَنْ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ إِمَامِ الْمَالِكِيَّةِ فِي زَمَانِهِ أَنَّهُ قَالَ:جِمَاعُ آدَابِ الْخَيْرِ وَأَزِمَّتُهُ تَتَفَرَّعُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ:قَوْلِ النبي ﷺ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» وَقَوْلِهِ ﷺ:«مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» وَقَوْلِهِ ﷺ لِلَّذِي اخْتَصَرَ لَهُ فِي الْوَصِيَّةِ:«لَا تَغْضَبْ» وَقَوْلِهِ ﷺ:«الْمُؤْمِنُ يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ:أَنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِهِ تَرْكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ،وَاقْتَصَرَ عَلَى مَا يَعْنِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ؛ وَمَعْنَى يَعْنِيهِ:أَنَّهُ تَتَعَلَّقُ عِنَايَتُهُ بِهِ،وَيَكُونُ مِنْ مَقْصِدِهِ وَمَطْلُوبِهِ،وَالْعِنَايَةُ:شِدَّةُ الِاهْتِمَامِ بِالشَّيْءِ،يُقَالُ عَنَاهُ يَعْنِيهِ:إِذَا اهْتَمَّ بِهِ وَطَلَبَهُ،وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَتْرُكُ مَا لَا عِنَايَةَ لَهُ بِهِ وَلَا إِرَادَةَ بِحُكْمِ الْهَوَى وَطَلَبِ النَّفْسِ،بَلْ بِحُكْمِ الشَّرْعِ وَالْإِسْلَامِ وَلِهَذَا جَعَلَهُ مِنْ حُسْنِ الْإِسْلَامِ،فَإِذَا حَسُنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ،تَرَكَ مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ،فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَقْتَضِي فِعْلَ الْوَاجِبَاتِ كَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ فِي شَرْحِ حَدِيثِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَإِنَّ الْإِسْلَامَ الْكَامِلَ الْمَمْدُوحَ يَدْخُلُ فِيهِ تَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ،كَمَا قَالَ ﷺ:«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» وَإِذَا حَسُنَ الْإِسْلَامُ،اقْتَضَى تَرْكَ مَا لَا يَعْنِي كُلَّهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُشْتَبِهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ،وَفُضُولِ الْمُبَاحَاتِ الَّتِي لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا،فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ لَا يَعْنِي الْمُسْلِمَ إِذَا كَمُلَ إِسْلَامُهُ،وَبَلَغَ إِلَى دَرَجَةِ الْإِحْسَانِ،وَهُوَ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ تَعَالَى كَأَنَّهُ يَرَاهُ،فَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُ،فَإِنَّ اللَّهَ يَرَاهُ،فَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَلَى اسْتِحْضَارِ قُرْبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ بِقَلْبِهِ،أَوْ عَلَى اسْتِحْضَارِ قُرْبِ اللَّهِ مِنْهُ وَاطِّلَاعِهِ عَلَيْهِ،فَقَدْ حَسُنَ إِسْلَامُهُ،وَلَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتْرُكَ كُلَّ مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الْإِسْلَامِ،وَيَشْتَغِلَ بِمَا يَعْنِيهِ فِيهِ،فَإِنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ الِاسْتِحْيَاءُ مِنَ اللَّهِ وَتَرْكُ كُلِّ مَا يُسْتَحْيَا مِنْهُ"] جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (١/ ٢٨٨)

-١١ - قال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ، وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ الْكَلَاعِيُّ،:أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ، وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ: {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ} [التوبة:٩٢]،فَسَلَّمْنَا وَقُلْنَا: أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَمُقْتَبِسِينَ، فَقَالَ الْعِرْبَاضُ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الصُّبْحَ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[١٦]

---

[١٦] - صحيح ابن حبان - مخرجا (١/ ١٧٨) (٥) وسنن أبي داود (٤/ ٢٠٠) (٤٦٠٧) وسنن ابن ماجه (١/ ١٥) (٤٢) وسنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٤٤) (٢٦٧٦) صحيح

[ش (ذات يوم) لفظة " ذات " مقحمة. (بليغة) من المبالغة. أي بالغ فيها بالإنذار والتخويف. (وجلت) كسمعت أي خافت. (وذرفت) أي سالت. وفي إسنادها إلى العيون مع أن السائل دموعها مبالغة. والمقصود أنها أثرت فيهم ظاهرا وباطنا. (وان عبدا حبشيا) أي وإن كان الأمير عبدا حبشيا. (الخلفاء الراشدين) قيل هم الأربعة رضي الله عنهم. وقيل بل هم ومن سار سيرتهم من أئمة الإسلام. فانهم خلفاء الرسول عليه الصلاة والسلام في إعلاء الحق وإحياء الدين وإرشاد الخلق إلى الصراط المستقيم. (النواجذ) الأضراس. قيل أراد به الجد في لزوم السنة كفعل من امسك الشيء بين أضراسه وعض عليه منعا من أن ينتزع. أو الصبر على ما يصيب من التعب في ذات الله. كما يفعل المتألم بالوجع يصيبه].

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ فِي قَوْلِهِ - ﷺ -:«فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي» عِنْدَ ذِكْرِهِ الِاخْتِلَافَ الَّذِي يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّ مَنْ وَاظَبَ عَلَى السُّنَنِ،قَالَ بِهَا،وَلَمْ يُعَرِّجْ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْآرَاءِ مِنَ الْفِرَقِ النَّاجِيَةِ فِي الْقِيَامَةِ،جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ بِمَنِّهِ .

في هذا الحديث أن الرسول - ﷺ - وعظ يوما أصحابه موعظة سالت منها الدمع من العيون وخافت منها القلوب خوفا شديدا لشدة تأثيرها في النفوس ولما حاك في صدورهم من أنها موعظة

مودع منه لأهل الدنيا فطلبوا منه الزيادة في الوصية فأوصاهم بتقوى الله عز وجل التي هي وصية الله الأولين والآخرين وأن يسمعوا ويطيعوا لولاة الأمور وأن يتمسكوا بسنته وسنة الخلفاء الراشدين وأن يبالغوا في التمسك بها بكل ممكن وبكل سبب وأن لا يتبعوا آراء أهل البدع والأهـــواء والمقاصـــد الفاسدة فإن من اتبع هؤلاء فقد ضل وخسر.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) المبالغة في الموعظة،لما في ذلك من ترقيق القلوب،فتكون أسرع إلى الإجابة. بالغة في الموعظة لما في ذلك من ترقيق القلوب وقبولها للحق.

(٢) الاعتماد على القرائن في بعض الأحوال،لأنهم إنما فهموا توديعه إياهم بإبلاغه في الموعظة أكثر من العادة ..

(٣) إنه ينبغي سؤال الواعظ للزيادة من الوعظ والتخويف.

(٤) من أعلام النبوة إخباره – ﷺ – بما يقع بعده في أمته من كثرة الاختلاف ــ ووقع الأمر كذلك.

(٥) الأمر بتقوى الله والسمع والطاعة،وفي هذه الوصية سعادة الدنيا والآخرة،أما التقوى فهي وصية الله للأولين والآخرين،وأما السمع والطاعة فبهما تنتظم مصالح العباد في معاشهم،ويستطيعون إظهار دينهم وطاعاتهم ..

(٦) التمسك بالسنة والصبر على ما يصيب المتمسك من الأذى. في ذلك.

(٧) التحذير من ابتداع الأمور التي ليس لها أصل في الشرع،أما ما كان مبنيا على قواعد الأصـــول ومردودا إليها. فليس ببدعة ولا ضلالة ..

(٨) شرف الخلفاء الراشدين وفضلهم واتباع سنتهم.

(٩) أن الواحد من الخلفاء الراشدين إذا قال قولا وخالفه فيه غيره كان المصير إلى قول الخليفة أولى.

(١٠) ينبغي للإنسان أن يستمع المواعظ بين فترة وأخرى لأنها نافعة للقلب.

(١١) على الإمام وطالب العلم والعالم أن يتعاهدوا الناس بالمواعظ كما كان يفعـــل – ﷺ – مـــع الصحابة رضي الله عنهم.

(١٢) الموعظة يجب أن تكون بليغة قوية تؤدي هدفها ولذلك على الإنسان أن يختار ألفاظها ويحسن قصدها لعل الله أن ينفع بها.

(١٣) فيه بيان لعلاقة القلب مع الجوارح فمتى تأثر القلب وخشع تأثرت العيون فذرفت وبكت من خشية الله.

(١٤) فقه الصحابي العرباض بن سارية رضي الله عنه حيث قدم قوله " وجبت منها القلوب "علـــى قوله "ذرفت منها العيون" لأن القلب هو الأصل.

(١٥) خشية الصحابة رضي الله عنهم لر؟م سبحانه،فبسماعهم المواعظ تذرف عيو؟م وتوجل قلو؟م.

(١٦) البكاء في مجالس الوعظ والذكر إذا غلب على الإنسان لا يكون رياءً،كما بكى الصحابة رضي الله عنهم في حديث الباب.

(١٧) الكلام النافع هو الذي يخالط القلب فيؤثر عليه لصدق قائله وإخلاصه في نصحه.

(١٨) فهم الصحابة وفطنتهم لما قال – ﷺ –،ولذلك قالوا " يا رسول الله كأ؟ا موعظة مودع" ففهموا من خلال الألفاظ أ؟ا وصية مودع،وهذا الفهم يحصل بالتركيز والانتباه،أما السهو والغفلة أثناء الوعظ فتضيع الفائدة على صاحبها.

(١٩) يشرع للمسلم أن يطلب الوصية من غيره،ويجب على الآخر أن ينصح له في وصيته ولا يغشه فيها.

(٢٠) على الإنسان أن يتحرى أهل العلم والفضل ويطلب منهم النصيحة لأن نصيحتهم ووصيتهم أفضل من غيرهم.

(٢١) أعظم الوصية على الإطلاق الوصية بتقوى الله لأ؟ا تعني فعل الطاعات وترك المنهيات،فهي الدين بكامله.

(٢٢) دل على وجوب السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين،حيث أكد ذلك بقوله" وإن تأمر عليكم عبد".

(٢٣) السمع والطاعة لولي أمر المسلمين من تقوى لله سبحانه وتعالى،فيطاع عبادة لله ولذلك ذكر – ﷺ – السمع والطاعة بعد قوله " أوصيكم بتقوى الله".

(٢٤) ضابط طاعة ولي أمر المسلمين ما كان في حدود تقوى الله سبحانه،كما هو مذهب أهل السنة والجماعة،وهذا الضابط والقيد يؤخذ من الربط بين قوله – ﷺ – " أوصيكم بتقوى الله" مع قوله – ﷺ – " والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد".

(٢٥) الحديث يعالج تفرق وشق الصف وذلك بالاجتماع على تقوى الله وعلى إمام واحد.

(٢٦) يعتبر الحديث من معجزاته – ﷺ – لقوله " فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً " وهذا ما حدث بعد وفاته بزمن من تفرق ووجود اختلاف.

(٢٧) كلما زاد البعد عن الرسالة النبوية كلما زاد الاختلاف لغلبة الجهل" فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً".

(٢٨) ذكر في الحديث علاجاً للفتن والافتراق والاختلاف بين المسلمين،ويتلخص العلاج في أمور:- الأولى:تقوى الله "أوصيكم بتقوى الله" الثانية:السمع والطاعة " والسمع والطاعة"الثالثة:التمسك بالسنة " فعليكم بسنتي".الرابع:هجر البدع " وإياكم ومحدثات الأمور".

من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها

-١١ - عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيه، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُــولِ اللهِ ﷺ فِــي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَــاءِ، مُتَقَلِّــدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْــهُ رَسُــولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَــلَّى ثُــمَّ خَطَبَ فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْــسٍ وَاحِــدَةٍ} [النساء:١] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، {إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:١] وَالْآيَــةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: {اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْــسٌ مَــا قَــدَّمَتْ لِغَــدٍ وَاتَّقُــوا اللهَ} [الحشر:١٨] «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِه، مِنْ دِرْهَمِه، مِنْ ثَوْبِه، مِنْ صَاعِ بُرِّه، مِنْ صَاعِ تَمْرِه - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَــارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّــاسُ، حَتَّــى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّــهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَــا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِــي

---

(٢٩) دل على حجية سنة الخلفاء الراشدين لأن النبي - ﷺ - نص عليها " فعليكم بســنتي وســنة الخلفاء الراشدين المهديين ".

(٣٠) فيه تزكية للخلفاء الأربعة رضي الله عنهم أجمعين لقوله " الراشدين المهديين"

(٣١) في الحديث التشديد على التمسك بالسنة وذلك:- لقوله " فعليكم بسنتي":ففيها أمر.- ولقوله " عضوا عليها":فلفظ العض يدل على التمسك في معناه- ولقوله " النواجذ" وهي الأضراس وهــي أقوى الأسنان،فيشعر ذلك بقوة التمسك.

(٣٢) في الحديث التشديد على هجر البدع،وذلك:- لقوله "إياكم ":وهي كلمة تحذير.- ولقوله " كل ":وهي من ألفاظ العموم وقد أضيفت لما بعدها "بدعة" فــاجتمع صــيغتان للعمــوم "كــل" والإضافة.- ولقوله " ضلالة ":وهي وصف لجميع البدع بالضلال،وهذا من الذم والتحذير.الخلاصة في شرح الأربعين النووية- علي بن نايف الشحود (ص:٩٥)

الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[17]

---

[17] - تهذيب صحيح مسلم- علي بن نايف الشحود (ص:٣٣٢)(١٠١٧)

[ش (مجتابي النمار) نصب على الحالية أي لابسيها خارقين أوساطها مقورين يقال اجتبت القميص أي دخلت فيه والنمار جمع نمرة وهي ثياب صوف فيها تنمير وقيل هي كل شملة مخططة من مآزر الأعراب كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض أراد أنه جاءه قوم لابسي أزر مخططة من صوف (العباء) بالمد وبفتح العين جمع عباءة وعباية لغتان نوع من الأكسية (فتعمر) أي تغير (كومين) هو بفتح الكاف وضمها قال القاضي ضبطه بعضهم بالفتح وبعضهم بالضم قال ابن سراج هو بالضم اسم لما كوم وبالفتح المرة الواحدة قال والكومة بالضم الصبرة والكوم العظيم من كل شيء والكوم المكان المرتفع كالرابية قال القاضي فالفتح هنا أولى لأن مقصوده الكثرة والتشبيه بالرابية (يتهلل) أي يستنير فرحا وسرورا (مذهبة) ضبطوه بوجهين أحدهما وهو المشهور وبه جزم القاضي والجمهور مذهبة والثاني و لم يذكر الحميدي في الجمع بين الصحيحين غيره مدهنة وقال القاضي عياض في المشارق وغيره من الأئمة هذا تصيحف وذكر القاضي وجهين في تفسيره أحدهما معناه فضة مذهبة فهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه والثاني شبهه في حسنه ونوره بالمذهبة من الجلود وجمعها مذاهب وهي شيء كانت العرب تصنعه من جلود وتجعل فيها خطوط مذهبة يرى بعضها إثر بعض]

أَيْ:أَتَى بِطَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ يُقْتَدَى بِهِ فِيهَا (فَلَهُ أَجْرُهَا) أَيْ:أَجْرُ تِلْكَ السُّنَّةِ،أَيْ:ثَوَابُ الْعَمَلِ بِهَا. وَفِي نُسْخَةٍ:أَجْرُهُ،أَيْ:أَجْرُ مَنْ سَنَّ،يَعْنِي أَجْرَ عَمَلِهِ. قَالَ التُّورِبِشْتِيُّ فِي عَامَّةِ نُسَخِ الْمَصَابِيحِ:فَلَهُ أَجْرُهَا،وَهُوَ غَيْرُ سَدِيدٍ رِوَايَةً وَمَعْنًى إِنَّمَا الصَّوَابُ أَجْرُهُ،وَالضَّمِيرُ لِصَاحِبِ الطَّرِيقَةِ،أَيْ:لَهُ أَجْرُ عَمَلِهِ وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِسُنَّتِهِ،وَظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ الضَّمِيرَ رَاجِعٌ إِلَى السُّنَّةِ. (وَقَدْ وَهِمَ فِيهِ بَعْضُ النَّاسِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ رُوَاةِ الْكِتَابَيْنِ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ رِوَايَةِ الشَّيْخَيْنِ فِي شَيْءٍ. قَالَ الْمُؤَلِّفُ:هَذَا الْحَدِيثُ لَمْ يُورِدْهُ الْبُخَارِيُّ إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَفْرَادِ مُسْلِمٍ،وَوُجِدَ فِي نُسَخٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ مُسْلِمٍ:أَجْرُهَا. وَعَلَى هَذَا شَرْحُ الْإِمَامِ النَّوَوِيِّ وَالْإِضَافَةُ لِأَدْنَى مُلَابَسَتِهِ،فَإِنَّ السُّنَّةَ سَبَبُ ثُبُوتِ الْأَجْرِ فَجَازَتِ الْإِضَافَةُ،كَذَا ذَكَرَهُ الطِّيبِيُّ. قُلْتُ:وَيُؤَيِّدُهُ مَا ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ اتِّفَاقُ النُّسَخِ عَلَى وِزْرِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا) أَيْ:بِتِلْكَ الْحَسَنَةِ (مِنْ بَعْدِهِ) :مِنْ بَيَانٍ مِنْ،وَفِي الْمَصَابِيحِ:وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بَعْدَهُ. قَالَ ابْنُ الْمَلَكِ أَيْ بَعْدَ مَمَاتِ مَنْ سَنَّهَا قُيِّدَ بِهِ لِمَا يُتَوَهَّمُ أَنَّ ذَلِكَ الْأَجْرَ يُكْتَبُ لَهُ مَا دَامَ حَيًّا اهـ.

قُلْتُ:وَفِيهِ أَنَّهُ يُتَوَهَّمُ حِينَئِذٍ أَنَّ الْأَجْرَ لَا يُكْتَبُ لَهُ وَهُوَ حَيٌّ،فَالْأَحْسَنُ أَنْ يُقَالَ مِنْ بَعْدِ مَا سَنَّهُ (مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ) :عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ،وَجَوَّزَ أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا لِأَنَّهُ مُتَعَدٍّ وَلَازِمٌ (مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ) أَيْ:مِنَ

يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي

-١٢ - عَنْ مُطَرِّف، عَنْ أَبِيه، قَالَ: أَتَيتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، قَالَ:"يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟ "[١٨]

النهي عن المبالغة في العبادة

-١٣- عن أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْط إِلَى بُيُوت أَزْوَاجِ النَّبِيِّ - ﷺ -،يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ - ﷺ -،فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ - ﷺ -؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ

النَّقْصِ (وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً) أَيْ:بِدْعَةً مَذْمُومَةً عَمِلَ بِهَا (كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا) أَيْ:إِثْمُهَا (وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِه) أَيْ:مِنْ جِهَةِ تَبَعِيَّتِه (مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ) :تَقَدَّمَ (مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ) :جَمَعَ فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِاعْتِبَارِ مَعْنَى " مِنْ " كَمَا أَفْرَدَ فِي " يَنْقُصَ " بِاعْتِبَارِ لَفْظِه.مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٩٤)

بيّن الرسول ﷺ أن الداعي إلى الهدى له من الأجر والثواب مثل من اتبعه مع استيفاء التابعين أجورهم كاملة وأن الداعي إلى الضلالة كعقيدة فاسدة وجريمة منكرة وخلق مرذول عليه من الإثم مثل آثام من اتّبعه مع استيفائهم آثامهم كاملة والسبب في ذلك أن المرشد إلى الخير كانت كلمته سببا في وجود هذا الخير في المجتمع الإنساني من هؤلاء التابعين فما فعلوه من الطيبات كأنه هو الذي فعله فله جزاؤه موفورا. وكذلك داعي الضلالة كأنه الذي ارتكب جرائم تابعيه فعليه عقاب ما اجترموا.

والحديث فيه ترغيب عظيم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو وظيفة الرسل والمصلحين كما فيه إنكار شديد وويل عظيم للذين يضلون الناس عن طريق الحق ويزينون لهم اجتراح السيئات أولئك الذين يخرجون على إجماع المسلمين ويلبسون الحق بالباطل ليضلوا عن سبيل الله ويفرقوا الكلمة ويشتتوا الجمع زاعمين أنهم مجددون باحثون والله يعلم أنهم ما الخير قصدوا ولا الفهم والحق طلبوا،فكن للخير داعيا،وعن الشر منفرا وفي كنف الجماعة مستظلا.الأدب النبوي (ص:٢١٠)

[١٨] - تهذيب صحيح مسلم- علي بن نايف الشحود (ص:١٠٤١)(٢٩٥٨)

أي ليس لك من مالك إلا ما انتفعت به في دنياك،بأكل أو لبس أو ادخرته لآخرتك،وما سوى ذلك فهو لورثتك.قال بعض السلف:اجعل ما عندك ذخيرة لك عند الله،واجعل الله ذخيرة لأولادك.تطريز رياض الصالحين (ص:٣٢٥)

وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّه – ﷺ – إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للَّه وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[19]

[19] – الأحاديث التي اتفق عليها البخاري ومسلم (ص:٥٦٨) ٥٠٦٣ – ١٥٤٦ – –[ش أخرجه مسلم في النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه .. رقم ١٤٠١ (رهط) قيل هم علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص. وعثمان بن مظعون رضي الله عنهم. (تقالوها) عدوها قليلة. (ذنبه) ذنبه – على حسب مقامه وما يعتبر ذنبا في حقه ليس هو من جنس الذنوب حقيقة ولو فعله غيره لا يسمى ذنبا. كفعله خلاف الأولى ونحو ذلك. (أبدا) دائما دون انقطاع. (الدهر) أي أواصل الصيام يوما بعد يوم. (لأخشاكم لله واتقاكم له) أكثركم خوفا منه واشدكم تقوى. (أرقد) أنام. (رغب عن سنتي) مال عن طريقتي وأعرض عنها. (فليس مني) أي ليس بمسلم إن كان ميله عنها كرها لها أوعن عدم اعتقاد بها. أن كان غير ذلك فإنه مخالف لطريقتي السهلة السمحة التي لا تشدد فيها ولا عنت]

بنيت هذه الشريعة السامية على السماح واليسر،وإرضاء النفوس بطيبات الحياة وملاذِّها المباحة به،وكرهها للعنت والشدة والمشقة على الفس،وحرمانها من خيرات هذه الدنيا.

ولذا فإن نفرا من أصحاب النبي – ﷺ – حملهم حب الخير والرغبة فيه إلى أن يذهبوا فيسألوا عن عمل النبي – ﷺ – في السر الذي لا يطلع عليه غير أزواجه فلما أعلمنهم به استقلوه،وذلك من نشاطهم على الخير وَجَدهم فيه. فقالوا:وأين نحن من رسول الله – ﷺ –،قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! فهو– في ظنهم– غير محتاج إلى الاجتهاد في العبادة. فعول بعضهم على ترك النساء،ليفرغ للعبادة. وعول بعضهم على ترك أكل اللحم،زهادةً في ملاذ الحياةوصمم بعضهم على أنه سيقوم الليل كله،تَهَجُّدا أو عبادة. فبلغت مقالتهم من هو أعظمهم تقوى،وأشدهم خشية،وأعرف منهم بالأحوال والشرائع. فخطب الناس،وحمد الله،وجعل الوعظ والإرشاد عاما،جريا على عادته الكريمة. فأخبرهم أنه يعطى كل ذي حق حقه،فيعبد الله تعالى،ويتناول ملاذ الحياة المباحة،فهو ينام ويصلى،ويصوم ويفطر،ويتزوج النساء،فمن رغب عن سنته السامية،فليس من أتباعه،وإنما سلك سبيل المبتدعين. تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (ص:٥٦٦).

كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يتحرون «٢» عبادة النبي عليه الصلاة والسلام ومقاديرها رجاء أن يكون لهم حظ مقاربته في الدرجة والمنزلة عند الله تعالى فجاء ثلاثة منهم إلى أزواجه يسألون عن كيفية عبادته في السر ومقاديرها،فلما علموا أنها لا تزيد على عبادتهم وجدوها قليلة بالنسبة إليهم. لا تفي بما يبغون الحصول عليه من الزلفى ورأوا من وعد الله غفران ذنوب الرسول ﷺ ما تقدم منها وما تأخر ما يغنيه عن كثرة العبادة،وأنهم دونه في ذلك بمراحل كبيرة،وفي حاجة إلى مداومة الطاعة والإكثار منها.

فأخذ كل على نفسه أن يلازم نوعا من العبادة لا ينقطع عنه،فرأى أحدهم أن يجافي جنبه عن المضاجع ليلا ويصرف جميع لياليه أبدا في العبادة فلا يعطي نفسه حظها من النوم والراحة،لأن السهر في ذكر الله يصفي الفكر،ويرفق الذهن،والنوم يدعو إلى الكسل والتراخي ويبلد النفس. ورأى آخر أن يصوم الدهر ولا يفطر،لأن الصيام يكبح «١» جماح «٢» شهواته ويكسر شره نفسه وينفي ما خبث من طباعه ويغسل ما دنس من أخلاقه،ويجعله يستشعر الرحمة والرأفة بالضعفاء والفقراء والمساكين.

ورأى آخر أن يعتزل النساء فلا يتزوج،لأن ذلك يبعده عن الاشتغال بالدنيا وملاذها وينسيه عبادة الله حيث يشغله أمر معاشه والسعي على أولاده وتربيتهم والنظر في أمورهم من التفرغ للطاعة.

فلما بلغ ذلك الرسول ﷺ خطب المسلمين منبها إلى خطأ ما عزم عليه هذا النفر؛ وإلى أن التقرب إلى الله لا يكون بتحميل النفس فوق طاقتها وإجهادها بالشاق من الطاعات بل إن خير الأعمال إلى الله أدومها وإن قل،وأنهم يوشكون أن يوقعوا أنفسهم في عجز وضعف لا يقوون معهما على أدنى أنواع العبادات فضلا عن أعلاها فيكونون كالمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى. وخير لهم أن يترفقوا بأنفسهم ليستديموا الطاعة ويتمتعوا بما أحله الله لهم من الطيبات،إذ لا رهبانية «٣» في الإسلام.

ولقد كان من آدابه ﷺ إذا رأى شيئا يكرهه وخطب في شأنه ألا يعين فاعله ولا يواجهه بما يكره ولا يسميه باسمه على رؤوس الملأ. بل يقول:ما بال رجال أو ما بال أقوام لأن المقصود وهو الزجر عما اعتزموا عليه يحصل لهم ولغيرهم ممن سمع الخطبة أو بلغه أمرها بدون الالتجاء إلى توبيخهم،وهذا من مكارم أخلاقه عليه الصلاة والسلام وحسن آدابه وجميل عشرته،ولقد قال تعالى:وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ «١» ،وقال عليه الصلاة والسلام «أدبني ربي فأحسن تأديبي» .

وفي الحديث إشارة إلى أن الحنيفية «٢» السمحة لا تدعو إلى الرهبانية وحرمان النفس مما أحله الله،ولكن ترغب في الإفطار ليقوى المؤمن على الصيام،وفي النوم ليتقوى على القيام. وفي التزوج ليكسر شهوة نفسه ويعفها ويكثر النسل.

قد يئس الشيطان بأن يعبد بأرضكم

-١٤ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْـوَدَاعِ، فَقَالَ: «قَدْ يَئِسَ الشَّيْطَانُ بِأَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ وَلَكِنَّهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تُحَاقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْذَرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِـيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ، إِنَّ كُلَّ مُسْـلِمٍ

ومن رغب عن ذلك،فإن كان لنوع من التأويل والفهم لا يعدّ ذلك خروجا عن الملة ولا كفرا،ويكون معنى (فليس مني) أي ليس من طريقتي وإن كان إعراضا وتنطعا «٣» يفضي إلى اعتقاد صواب ما عمل ورجحانه كأن معنى (فليس مني) فليس على ملتي لأن اعتقاد ذلك كفر،وإن كان تورعا لشبهة في ذلك لم يكن ممنوعا ولا مكروها.

ويؤخذ من هذا الحديث سوى ما تقدم:

١- التنبيه على فضل النكاح والترغيب فيه.

٢- وعدم الغلو في الإنقطاع عن الملاذ وما أحله الشرع.

٣- فيه رد على منع استعمال المباحات والحلال من الأطعمة الطيبة والملابس اللينة وآثر عليها غليظ الطعام وخشن الثياب من الصوف وغيره قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ «٤» ،لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا «٥» .

والحق:العدل،والقصد في جميع الأمور،فإن ملازمة الطيبات تقضي إلى الترفه والبطر «٦» ،ولا يؤمن معها من الوقوع في الشبهات،كما أن منع النفس من تناولها يؤدي إلى التنطع المنهي عنه،وملازمة الاقتصاد على الفرائض مثلا وترك النفل يفضي إلى إيثار البطالة وعدم النشاط إلى العبادة،وربما يؤدي إلى التكاسل عن الفرائض.

وقد أخذ النبي ﷺ بالأمرين وشارك في الوجهين،فلبس مرة الصوف والشملة الخشنة،ومرة البردة والرداء الحضرمي،وتارة كان يأكل القثاء بالرطب وطيب الطعام إذا وجده،ومرة كان يأكل الدجاج.

٤- يؤخذ من الحديث أيضا مشروعية التوصل إلى العلم لكل أحد حتى النساء إذا تعذر أخذه من أصل محله.

٥- وعلى تقديم الحمد والثناء على الله عند إلقاء مسائل العلم،وإزالة الشبهة عن المجتهدين.

٦- الحث على متابعة السنة والتحذير من مخالفتها،وهذا من أهم الأمور التي تركت ونشأ عن تركها مفاسد عظيمة في الدّين والدنيا.الأدب النبوي (ص:٢٣٢)

أَخٌ مُسْلِمٌ، الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، وَلَا تَظْلِمُوا، وَلَا تَرْجِعُوا مِنْ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» . "[20]

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –:" إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ تُعْبَدَ الْأَصْنَامُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ سَيَرْضَى مِنْكُمْ بِدُونِ ذَلِكَ، بِالْمُحَقَّرَاتِ وَهِيَ الْمُوبِقَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاتَّقُوا الْمَظَالِمَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّ الْعَبْدَ يَجِيءُ بِالْحَسَنَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ يَرَى أَنْ سَتُنَجِّيهِ، فَمَا زَالَ عَبْدٌ يَقُومُ يَقُولُ: يَا رَبِّ ظَلَمَنِي عَبْدُكَ فُلَانٌ بِمَظْلِمَةٍ قَالَ: فَيَقُولُ: امْحُوا مِنْ حَسَنَاتِهِ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى لَا يَبْقَى مَعَهُ حَسَنَةٌ مِنَ الذُّنُوبِ، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَسَفْرٍ نَزَلُوا بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، لَيْسَ مَعَهُمْ حَطَبٌ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ لِيَحْتَطِبُوا، فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنِ احْتَطَبُوا وَأَنْضَجُوا مَا أَرَادُوا قَالَ: وَكَذَلِكَ الذُّنُوبُ "[21]

كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى

-15 – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[22]

---

[20] – المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 171)(318)صحيح لغيره

[21] – الآداب للبيهقي (ص:338) (840) وشعب الإيمان (9/ 404) (6877 و7067) حسن
قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ:وَهَذَا وَأَمْثَالُهُ لَنْ تُدْرِكَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يُعَذَّبَ بِذُنُوبِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ

[22] – صحيح البخاري (9/ 92)(7280)[ش (أبى) امتنع عن قبول الدعوة أو عن امتثال الأمر]
قوله:(من أبى) دخول الجنة،وذلك إنما هو أن يأبى الطاعة،فمن أبى الطاعة يأبى دخول الجنة،وذلك أن قول رسول الله – ﷺ –:أبى،يعني:أن دخول الجنة في الآخرة من طريق إليها،فالدنيا هي عند أهل العقل والنظر الصحيح جنة تنقل إلى جنة،فإن الطريق إلى الجنة في الآخرة إنما هي عبادة الله في الدنيا،بأنواع العبادات التي هي كلها حقائق الأمن وعروش الطمأنينة،كالصدق والبر؛ اللذين يكسبان

المودة والصلة التي تؤكد الألفة،والأمكنة التي يقع بها عن الخلق الطمأنينة،وإتيان المعروف الذي تسكن إليه كل نفس،وهذا من الذي يستشير السر من كل ذي لب.
والعفو عن المذنب وحقه الجاد،وإكرام الضيف،والصدق في القول،والوفاء بالعهد،وحفظ الأخ بالغيب،ومجانبة الهجر من الكلام،والطهارة والنظافة،واستعمال مكارم الأخلاق من الجود والشجاعة والعفة،وغير ذلك من مكارم الأخلاق التي تفوقها على كثرتها كلها أداء فرائض الله سبحانه التي بها يشرف العبد في عبادة ربه،وانقطاعه عن الخلق إليه،وإخلاص الإيمان له في الصوم والحج،ومعاداة أعداء الله سبحانه،وبذل النفس له،واستسهال الموت في سبيله،فإن ذلك مما كله،إذا نظر بعين الحقيقة رأى أنه رياض جنات،تنقل إلى بحبوحة الجنة،فمن أبى ذلك فقد أبى الجنة العاجلة والجنة الآجلة.
*فأما العبادات:فإنها للمؤمنين بثوابها،والناظرين إلى أنها في زمان مهلة،ودار رحلة،في موسم متجر يتجر،وذمته مع اليقين بسرعة الانتقال عنه،فإن كلا منها إذا نظره المؤمن بهذه العين،رأى أنه في مثل الجنة،إذا كان إنفاقه حياته في التزود للجنة،كما أن أحد تجار الدنيا إذا ورد في بعض أسفاره على معدن يرى نفاسته في أرضه إذا حمله فتزود من ذلك المعدن ما يأمل نفاقه في بلده إذا عاد إليه.
فإنه كلما ازداد في الاستكثار من التزود من ذلك المتاع لأمله في ربحه عند العودة إلى مقره،فإنه يستلذ ذلك التعب،ويستطيب ذلك النصب؛ فالصلوات رياض جنات،وأي جنات للراكعين فيها،وعند تلاوتهم كلام ربهم قياماً بين يديه،قد شرع لهم قطع كلام الخلق،وألا يلتفتوا بصورهم عن معبودهم،إشارة بذلك ألا يلتفتوا بصور باطنهم عن مناجاته أيضًا خالا هي.
* أما أماني أهل الجنة،وهي الخلوة عن الخلق بالرب سبحانه،واستمتاع كلامه ومناجاته بأذكاره والتذلل بين يديه،والخضوع له في طهارة ونظافة أثواب.
*وأما الصوم،فإنه لأهله من حيث إيمان بالله في الباطن،وصبر عما تؤثره النفس من المطعم والمشرب والنكاح غيبًا بين العبد وبين ربه،فإن المؤمن إذا رأي نفسه في ذلك سره وأفرط حتى يكون من تلذذه به أنه يجد لذة عند تزايد المشقة؛ فكأنه في جنة تنقل إلى جنة.
*وأما الحج،فإن المؤمن إذا نهض قاصداً إلى بيت ربه،الذي جعله مجتمع أذكار الأنبياء،وملتقى الأولياء،وإنه يهجر في قصده أهله ووطنه،ويركب من الأخطار في طريقة ما إذا نظر المؤمن إلى أن كل شيء إذا تأمله فرآه خارجاً عن الأغراض،بعيداً عن شهوات النفوس،فيمحض فيه الإيمان ويخلص فيه القصد ليستلذ به المؤمن التذاذاً لا يجده في كل عمل مشوب بمشاركة المنافع الدنيوية فوجد جنة من لذته في إخلاصه لربه من حجه وقصده مجالاً هي عند من ذاقها من المؤمنين على نحو رياض الجنة،فيجد الإنسان لذتها في وقتها،ثم إنه بعد انقضائها عنه كلما ذكرها يلتذ بها فكلما كانت مكابدتها أشق،كان ذكره لها بعد انقضائها ألذ.

ما نهيتكم عنه فاجتنبوه

-١٦ - عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، قَالَا: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»[٢٣]

---

*وأما الجهاد فإن من المؤمنين من لو لم يشرع الله سبحانه الجهاد؛ الذي يبرهن على الإيمان بمقر آخر،والتصديق برب تبذل له النفوس،ويهون في عبادته قطع الرؤوس،فيعادي المؤمن فيه،ويقاتل لأجله،ويحارب من جرائه حالاً يفضح الشبه لأحوال فيها نداء بلا إله إلا الله محمد رسول الله لكان من المؤمنين من ربما مات كمداً،فانقضت نفسه حسرة،كيف لا يجد ما يظهر فيه دلائل تعلقه بالآخرة وهو ... لكن الله سبحانه من على عباده أن شرع لهم الجهاد،فرأى المؤمنون منا من الله لهم،فوزاً عجله له عليهم،فلذلك رياض جنة.

فهذا معنى قول رسول الله - ﷺ -:ومن أبى الطاعة فقد أبى الجنة،يعني - ﷺ -:الآجلة الموجودة المعدة الموعودة،وقد بينا خصال الطاعات والعبادات المؤدية إلى الجنة المذكورة قد يسلك قاصدوه في الأفعال المذكورة سلوكاً يتبدلهم كالتذاذهم بالجنة؛ فكأنه من أبى الطاعة فقد فاتته الجنة الآجلة الحقيقية والعاجلة جميعاً.الإفصاح عن معاني الصحاح (٧/ ٣١٠)

في هذا الحديث:أعظم بشارة للطائعين من هذه الأمة،وأن كُلّهم يدخلون الجنة إلا من عصى الله ورسوله واتَّبع شهواته وهواه،قال الله تعالى {فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} ... [النازعات (٣٧:٤١)] .تطريز رياض الصالحين (ص:١٢٩)

[٢٣] - تهذيب صحيح مسلم- علي بن نايف الشحود (ص:٨٤١)(٢٣٥٧م)

هذه الأسئلة التي نهى النبي - ﷺ - عنها:هي التي نهى الله عنها في قوله:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} [المائدة:١٠١]. وهي الأسئلة عن أشياء من أمور الغيب،أو من الأمور التي عفا الله عنها،فلم يحرمها و لم يوجبها. فيسأل السائل عنها وقت نزول الوحي والتشريع. فربما وجبت بسبب السؤال. وربما حرمت كذلك. فيدخل السائل في قوله - ﷺ -:"أعظم المسلمين جرماً:من سأل عن شيء لم يحرم،فحرم من أجل مسألته" (٢).

وكذلك ينهى العبد عن سؤال التعنت والأغلوطات،وينهى أيضاً عن أن يسأل عن الأمور الطفيفة غير المهمة. ويدع السؤال عن الأمور المهمة. فهذه الأسئلة وما أشبهها هي التي نهى الشارع عنها.

وأما السؤال على وجه الاسترشاد عن المسائل الدينية من أصول وفروع،عبادات أو معاملات،فهي مما أمر الله بها ورسوله،ومما حث عليها، وهي الوسيلة لتعلم العلوم،وإدراك الحقائق،قال تعالى:{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [الأنبياء:٧]. وقال:{وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف:٤٥] إلى غيرها من الآيات. وقال - ﷺ -:"مَن يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين" (١). وذلك بسلوك طريق التفقه في الدين دراسة وتعلما وسؤالا،وقال:"ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنما شفاء العِيِّ السؤال" (٢).

وقد أمر الله بالرفق بالسائل،وإعطائه مطلوبه،وعدم التضجر منه. وقال في سورة الضحى:{وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ} فهذا يشمل السائل عن العلوم النافعة والسائل لما يحتاجه من أمور الدنيا،من مال وغيره.

ومما يدخل في هذا الحديث:السؤال عن كيفية صفات الباري؛ فإن الأمر في الصفات كلها كما قال الإمام مالك لمن سأله عن كيفية الاستواء على العرش؟ فقال:"الاستواء معلوم. والكيف مجهول. والإيمان به واجب. والسؤال عنه بدعة" (٣).

فمن سأل عن كيفية علم الله،أو كيفية خلقه وتدبيره،قيل له:فكما أن ذات الله تعالى لا تشبهها الذوات،فصفاته لا تشبهها الصفات،فالخلق يعرفون الله،ويعرفون ما تعرف لهم به،من صفاته وأفعاله. وأما كيفية ذلك فلا يعلم تأويله إلا الله.

ثم ذكر - ﷺ - في هذا الحديث أصلين عظيمين:

أحدهما:قوله - ﷺ -:"فإذا نهيتكم عنه فاجتنبوه" فكل ما نهى عنه النبي - ﷺ - من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة:وجب تركه،والكف عنه؛ امتثالاً وطاعة لله ورسوله.

ولم يقل في النهي:ما استطعتم لأن النهي طلب كف النفس،وهو مقدور لكل أحد،فكل أحد يقدر على ترك جميع ما نهى الله عنه ورسوله. ولم يضطر العباد إلى شيء من المحرمات المطلقة؛ فإن الحلال واسع،يسع جميع الخلق في عباداتهم ومعاملاتهم،وجميع تصرفاتهم.

وأما إباحة الميتة والدم ولحم الخنزير للمضطر،فإنه في هذه الحالة الملجئة إليه قد صار من جنس الحلال؛ فإن الضرورات تبيح المحظورات (٤)،فتصيرها الضرورة مباحة؛ لأنه تعالى إنما حرم المحرمات حفظاً لعباده،وصيانة لهم عن الشرور والمفاسد،ومصلحة لهم فإذا قاوم ذلك مصلحة أعظم -وهو بقاء النفس- قدمت هذه على تلك رحمة من الله وإحساناً.

وليست الأدوية من هذا الباب،فإن الدواء لا يدخل في باب الضرورات،فإن الله تعالى يشفي المبتلى بأسباب متنوعة،لا تتعين في الدواء. وإن كان الدواء يغلب على الظن الشفاء به،فإنه لا يحل التداوي

بالمحرمات،كالخمر وألبان الحمر الأهلية،وأصناف المحرمات،بخلاف المضطر إلى أكل الميتة،فإنه يتيقن أنه إذا لم يأكل منها يموت.

الأصل الثاني:قوله – ﷺ –:"وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ" وهذا أصل كبير،دلّ عليه أيضاً قوله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن:١٦]. فأوامر الشريعة كلها معلقة بقدرة العبد واستطاعته،فإذا لم يقدر على واجب من الواجبات بالكلية:سقط عنه وجوبه. وإذا قدر على بعضه – وذلك البعض عبادة– وجب ما يقدر عليه منه،وسقط عنه ما يعجز عنه.

ويدخل في هذا من مسائل الفقه والأحكام ما لا يعد ولا يحصى، فيصلي المريض قائماً،فإن لم يستطع صلى قاعداً،فإن لم يستطع صلى على جنبه. فإن لم يستطع الإيماء برأسه أومأ بطرفه. ويصوم العبد ما دام قادراً عليه. فإن أعجزه مرض لا يُرْجى زواله،أطعم عنه كل يوم مسكين. وإن كان مرضاً يرجى زواله:أفطر،وقضى عدته من أيام أخر.

ومن ذلك،من عجز عن سترة الصلاة الواجبة،أو عن الاستقبال،أو توقِّي النجاسة:سقط عنه ما عجز عنه. وكذلك بقية شروط الصلاة وأركانها،وشروط الطهارة.

ومن تعذرت عليه الطهارة بالماء للعدم،أو للضرر في جميع الطهارة،أو بعضها:عدل إلى طهارة التيمم.

والمعضوب في الحج،عليه أن يستنيب من يحج عنه،إذا كان قادراً على ذلك بماله.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،يجب على من قدر عليه باليد،ثم باللسان،ثم بالقلب.

وليس على الأعمى والأعرج والمريض حرج في ترك العبادات التي يعجزون عنها،أو تشق عليهم مشقة غير محتملة.

ومن عليه نفقة واجبة،وعجز عن جميعها:بدأ بزوجته،فرفيقه،فالولد،فالوالدين،فالأقرب ثم الأقرب. وكذلك الفطرة.

وهكذا جميع ما أمر به العبد أمر إيجاب أو استحباب،إذا قدر على بعضه،وعجز عن باقيه،وجب عليه ما يقدر عليه،وسقط عنه ما عجز عنه. وكلها داخلة في هذا الحديث.

ومسائل القرعة لها دخول في هذا الأصل؛ لأن الأمور إذا اشتبهت:لمن هي،ومن أحق بها؟ رجعنا إلى المرجحات. فإن تعذر الترجيح من كل وجه،سقط هذا الواجب للعجز عنه،وعدل إلى القرعة التي هي غاية ما يمكن. وهي مسائل كثيرة معروفة في كتب الفقه.

والولايات كلها –صغارها وكبارها– تدخل تحت هذا الأصل؛ فإن كل ولاية يجب فيها تولية المتصف بالأوصاف التي يحصل بها مقصود الولاية. فإن تعذرت كلها،وجب فيها تولية الأمثل فالأمثل.

إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا

-١٧ - عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا، عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّهُ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام: ٤٤] "[٢٤]

وكما يستدل على هذا الأصل بتلك الآية وذلك الحديث،فإنه يستدل عليها بالآيات والأحاديث التي نفى الله ورسوله فيها الحرج عن الأمة،كقوله تعالى:{لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} [البقرة:٢٨٦]،{لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا مَا آتَاهَا} [الطلاق٧]،{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج:٧٨]،{مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ} [المائدة:٦]،{يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة:١٨٥]،{يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ} [النساء:٢٨].

فالتخفيفات الشرعية في العبادات وغيرها بجميع أنواعها داخلة في هذا الأصل،مع ما يستدل على هذا بما لله تعالى من الأسماء والصفات المقتضية لذلك،كالحمد والحكمة،والرحمة الواسعة،واللطف والكرم والامتنان. فإن آثار هذه الأسماء الجليلة الجميلة كما هي سابغة وافرة واسعة في المخلوقات والتدبيرات،فهي كذلك في الشرائع،بل أعظم؛ لأنها هي الغاية في الخلق. وهي الوسيلة العظمى للسعادة الأبدية.

فالله تعالى خلق المكلفين ليقوموا بعبوديته. وجعل عبوديته والقيام بشرعه طريقاً إلى نيل رضاه وكرامته. كما قال تعالى -بعد ما شرع الطهارة بأنواعها- {مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة:٦]. فظهرت آثار رحمته ونعمته في الشرعيات والمباحات،كما ظهرت في الموجودات. فله تعالى أتمّ الحمد وأعلاه،وأوفر الشكر والثناء وأغلاه،وغاية الحب والتعظيم ومنتهاه. وبالله التوفيق.بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص:٩٨)

[٢٤] - الزهد لأحمد بن حنبل (ص:١٤)(٦٣) وتفسير ابن أبي حاتم،الأصيل - مخرجا (٤/ ١٢٩٠)(٧٢٨٨) ومسند أحمد مخرجا (٢٨/ ٥٤٧)(١٧٣١١) والآداب للبيهقي (ص:٣٣٠)(٨١٩) صحيح

" إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ ") أَيْ:مَعَ وُجُودِ فِعْلِهِ إِيَّاهَا (" مَا يُحِبُّ ") أَيْ:مِنْ أَسْبَابِهَا (" فَإِنَّمَا هُوَ ") أَيْ:ذَلِكَ الْإِعْطَاءُ (" اسْتِدْرَاجٌ ") أَيْ:مَكْرٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ. قَالَ

لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به

–١٨– عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ – أَنَّهُ قَالَ : " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ "[٢٥]

تَعَالَى: {سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} [الأعراف:١٨٢] قَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:الِاسْتِدْرَاجُ هُوَ الْأَخْذُ فِي الشَّيْءِ،وَالذَّهَابُ فِيهِ دَرَجَةً فَدَرَجَةً،كَالْمَرَاقِي وَالْمَنَازِلِ فِي ارْتِقَائِهِ وَنُزُولِهِ،وَمَعْنَى اسْتِدْرَاجِ اللَّهِ اسْتِدْرَاجُهُمْ قَلِيلًا قَلِيلًا إِلَى مَا يُهْلِكُهُمْ،وَيُضَاعِفُ عِقَابَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ مَا يُرَادُ بِهِمْ،وَذَلِكَ أَنَّ تَوَاتُرَ اللَّهِ نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ مَعَ انْهِمَاكِهِمْ فِي الْغَيِّ،فَكُلَّمَا جَدَّدَ عَلَيْهِمْ نِعْمَةً ازْدَادُوا بَطَرًا وَجَدَّدُوا مَعْصِيَةً،فَيَتَدَرَّجُونَ فِي الْمَعَاصِي بِسَبَبِ تَرَادُفِ النِّعَمِ،ظَانِّينَ أَنَّ مُتَوَاتِرَةَ النِّعَمِ أَثَرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَتَقْرِيبٌ،وَإِنَّمَا هِيَ خِذْلَانٌ مِنْهُ وَتَبْعِيدٌ،(ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) أَيِ:اسْتِشْهَادًا أَوِ اعْتِضَادًا {فَلَمَّا نَسُوا} [الأعراف:١٦٥] أَيْ:عَهْدَهُ سُبْحَانَهُ،أَوْ تَرَكُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ،وَهُوَ الْمَعْنِيُّ بِقَوْلِهِ:{مَا ذُكِّرُوا بِهِ} [الأنعام:٤٤] أَيْ:وُعِظُوا فَتَحْنَا بِالتَّخْفِيفِ وَيُشَدَّدُ {عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام:٤٤] أَيْ:مِنْ أَسْبَابِ النِّعَمِ الَّتِي فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ مُوجِبَاتِ النِّقَمِ {حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا} [الأنعام:٤٤] أَيْ:أُعْطُوا مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَصِحَّةِ الْبَدَنِ وَطُولِ الْعُمُرِ {أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً} [الأنعام:٤٤] أَيْ:فَجْأَةً بِالْمَوْتِ أَوِ الْعَذَابِ،فَإِنَّهُ أَشَدُّ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ {فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام:٤٤] أَيْ:وَاجِمُونَ سَاكِتُونَ مُتَحَسِّرُونَ مُتَحَيِّرُونَ آيِسُونَ. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٥٧)

[٢٥] – الْأَرْبَعُونَ لِلْفَسَوِيِّ (٨) والسُّنَّةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ(١٤) حسن

يفيدنا هذا الحديث أن كل إنسان لا يؤمن حتى يحب ما جاء به الرسول – ﷺ – ويعمل به ويكره ما نهى عنه ويجتنبه.وأنه لا يعمل أي عمل من الأعمال حتى يعرضه على الكتاب وسنة رسوله – ﷺ – فإن وافق الكتاب والسنة فعله وإن كان فيهما ما ينهى عنه أو ينفيه اجتنبه وأعرض عنه وهذا هو حقيقة من كان هواه تبعا لما جاء به محمد – ﷺ – {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر:٧].

ما يرشد إليه الحديث:

(١) يجب على كل مكلف أن يكون هواه تابعا لما جاء به محمد – ﷺ –.

(٢) إن من لم يكن هواه تابعا لما جاء به محمد – ﷺ – فهو إما ناقص الإيمان أو خارج عنه.

(٣) وجوب محبة الرسول – ﷺ – ومن لازم محبته اتباعه فيما أمر واجتناب ما نهى عنه.

(٤) دل الحديث على أن من جعل هواه يتبع دين الله وشرعه فقد استكمل الإيمان.

(٥) دل على أن الهوى يحتاج إلى مجاهدة حتى يتبع شرع الله ففيه تربية على

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاه

–١٩ – عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ» [٢٦]

---

(٦) طاعة الهوى تصرف عن دين الله.

(٧) المؤمن يجعل هواه على حسب الشريعة،وأما ناقص الإيمان يقدم طاعة الهوى أحياناً،وأما المنافق والكافر فيحرف الشريعة على حسب هواه ورغبته.

(٨) الحديث يربي المسلم على محاسبة نفسه وهواه هل هي تتبع الشرع أم لا؟

(٩) يدل على خطورة الهوى،لأنه إن لم يكن تبع الشرع فإنه ينقص الإيمان وقد يزيد النقص إلى درجة خطيرة جدًا.

(١٠) المسلم مستسلم لأمر الله سواءً وافق هواه أم لا؟

(١١) المؤمن يحب الله وأوامره،ويعظم نواهيه،وهذا معنى أن يجعل هواه تبعاً لما جاء به النبي – ﷺ –.

(١٢) يدل الحديث على أن المؤمن لا يبحث عما يشتهي هواه،لكن يبحث عن طاعة الله ثم يفعلها.

(١٣) يربي النفس على ا؟اهدة،لأن الهوى هو أمل النفس ومرادها ومبتغاها،ولأجل ذلك يحتاج إلى جهد ومجاهدة وإيمان حتى يكون تبعاً للشرع.

(١٤) يربي المسلم على طلب الشرع والدليل ولو خالف هواه،فالمؤمن يبحث عن الدليل فإن صح عمل فيه ولو كانت نفسه وهواه ينازعه لأنه جعل هواه تبعاً لدين الله.

(١٥) الحديث أصل في باب التوبة والحث عليها.

(١٦) يربي المسلم على إحسان الظن بربه سبحانه وتعالى لأن الله عند ظن عبده به.

(١٧) فيه لطف الله سبحانه وتعالى في مناداته لعبده وقربة منه.

(١٨) فيه بيان سعة رحمة الله وعظيم مغفرته.

(١٩) يربي جانب الرجاء في قلب المؤمن.

(٢٠) الله يغفر كل شيء إذا تاب الإنسان لربه بما في ذلك الشرك.

(٢١) يدل على أن الله سبحانه وتعالى إذا أعطى عبده المؤمن وغفر له لا ينقص ذلك مما عنده لقوله " ولا أبالي ".الخلاصة في شرح الأربعين النووية– علي بن نايف الشحود (ص:١٣٨)

[٢٦] – تهذيب صحيح مسلم– علي بن نايف الشحود (ص:٣٤٤)(١٠٥٤)

[ش (كفافا) قال في النهاية الكفاف هو الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة إليه وهو نصب على الحال]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»[٢٧]

حكم - ﷺ - بالفلاح لمن جمع هذه الخلال الثلاث.

و"الفلاح" اسم جامع لحصول كلّ مطلوب محبوب، والسلامة من كلّ مخوف مهوب.

وذلك أنّ هذه الثلاث جمعت خير الدين والدنيا، فإنّ العبد إذا هدي للإسلام الذي هو دين الله، الذي لا يقبل ديناً سواه، وهو مدار الفوز بالثواب والنجاة من العقاب، وحصل له الرزق الذي يكفيه ويكفّ وجهه عن سؤال الخلق، ثمّ تمّم الله عليه النعمة، بأن قنعه بما آتاه، أي:حصل له الرضى بما أوتي من الرزق والكفاف، و لم تطمح نفسه لما وراء ذلك:فقد حصل له حسنة الدنيا والآخرة.

فإنّ النقص بفوات هذه الأمور الثلاثة أو أحدها:إمّا أن لا يهدى للإسلام:فهذا مهما كانت حاله، فإنّ عاقبته الشقاوة الأبديّة، وإمّا بأن يهدي للإسلام، ولكنّه يبتلى:إمّا بفقرٍ ينسي، أو غنى يطغي:وكلاهما ضرر ونقص كبير، وإمّا بأن يحصل له الرزق الكافي موسعاً أو مقدّراً، ولكنّه لا يقنع برزق الله، ولا يطمئن قلبه بما آتاه الله:فهذا فقير القلب والنفس.

فإنّه ليس الغنى عن كثرة العرض، إنّما الغنى غنى القلب،فكم من صاحب ثروة وقلبه فقير متحسر،وكم من فقير ذات اليد،وقلبه غني راض،قانع برزق الله.

فالحازم إذا ضاقت عليه الدنيا لم يجمع على نفسه بين ضيقها وفقرها،وبين فقر القلب وحسرته وحزنه،بل كما يسعى لتحصيل الرزق فليسع لراحة القلب،وسكونه وطمأنينته. والله أعلم.بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص:٩٠)

[٢٧] - تهذيب صحيح مسلم- علي بن نايف الشحود (ص:٣٤٤)(١٠٥٥) [ش (قوتا) قال أهل اللغة والعربية القوت ما يسد الرمق]

في هذا الحديث من الفقه أن رسول الله - ﷺ - أخبر أن من الرزق ما يكون بلغة ولا يعوز ولا يفضل؛ لأن الكفاف ما كان مبلغًا المحل غير قاصر فيشغل بفضول أو معوز فيشغل في تحصيله وعلى أن هذا الدعاء هو الكفاف الحاصل لم يكون من الرزق لسائر أهل الدنيا،فإنه لا يحصل لكبر إنكار سوى قوته؛ وللذي يتقي الفتن من الدنيا وقد قاسى شيء مما قدر له عن كفاية فثبت أن الفاضل عن القوت فيه إشغال،وقد أجاد أبو الطيب حين يقول:

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته .... ما فاته وفضول العيش إشغال

وفيه أيضًا:أنه - ﷺ - دعا لآله أن يكون رزقهم قوتًا،فلا يطغون بالإكثار،ولا يحسدهم أهل الدنيا في أرزاقهم،إذا رآهم الفقير استعمل الرضا،وإذا رآهم الغني استحيا.الإفصاح عن معاني الصحاح (٧/ ١٥٧)

من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه

-٢٠ -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» [٢٨]

فَاتَّقُوا فِتْنَةَ الدُّنْيَا، وَفِتْنَةَ النِّسَاءِ

-٢١ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا فِتْنَةَ الدُّنْيَا، وَفِتْنَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ فِتْنَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ». " [٢٩]

---

[٢٨] - تهذيب صحيح مسلم- علي بن نايف الشحود (ص:٩٤٥)(٢٦٧٤)

بيّن الرسول ﷺ أن الداعي إلى الهدى له من الأجر والثواب مثل من اتبعه مع استيفاء التابعين أجورهم كاملة وأن الداعي إلى الضلالة كعقيدة فاسدة وجريمة منكرة وخلق مرذول عليه من الإثم مثل آثام من اتّبعه مع استيفائهم آثامهم كاملة والسبب في ذلك أن المرشد إلى الخير كانت كلمته سببا في وجود هذا الخير في المجتمع الإنساني من هؤلاء التابعين فما فعلوه من الطيبات كأنه هو الذي فعله فله جزاؤه موفورا. وكذلك داعي الضلالة كأنه الذي ارتكب جرائم تابعيه فعليه عقاب ما اجترموا.

والحديث فيه ترغيب عظيم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو وظيفة الرسل والمصلحين كما فيه إنكار شديد وويل عظيم للذين يضلون الناس عن طريق الحق ويزينون لهم اجتراح السيئات أولئك الذين يخرجون على إجماع المسلمين ويلبسون الحق بالباطل ليضلوا عن سبيل الله ويفرقوا الكلمة ويشتتوا الجمع زاعمين أنهم مجددون باحثون والله يعلم أنهم ما الخير قصدوا ولا الفهم والحق طلبوا،فكن للخير داعيا،وعن الشر منفرا وفي كنف الجماعة مستظلا.الأدب النبوي (ص:٢١٠)

[٢٩] - مستخرج أبي عوانة (٣/ ١٥) (٤٠٢٧) صحيح

أخبر - ﷺ - في هذا الحديث بحال الدنيا وما هي عليه من الوصف الذي يروق الناظرين والذائقين. ثم أخبر أن الله جعلها محنة وابتلاء للعباد. ثم أمر بفعل الأسباب،التي تقي من الوقوع في فتنتها.فإخباره بأنها حلوة خضرة يعم أوصافها التي هي عليها. فهي حلوة في مذاقها وطعمها،ولذاتها وشهواتها،خضرة في رونقها وحسنها الظاهر،كما قال تعالى:{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ} [آل

لَا يتمنينّ أحدكم الموت لضرر أَصَابَهُ

عمران:١٤]. وقال تعالى:{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} [الكهف:٧]. فهذه اللذات المنوعة فيها،والمناظر البهيجة،جعلها الله ابتلاء منه وامتحاناً،واستخلف فيها العباد لينظر كيف يعملون؟

فمن تناولها من حلها،ووضعها في حقها،واستعان بها على ما خلق له من القيام بعبودية الله،كانت زاداً له وراحلة إلى دار أشرف منها وأبقى،وتمت له السعادة الدنيوية والأخروية.

ومن جعلها أكبر همه،وغاية علمه ومراده، لم يؤتَ منها إلا ما كتب له. وكان مآله بعد ذلك إلى الشقاء،ولم يهنأ بلذاتها ولا شهواتها إلا مدة قليلة. فكانت لذاته قليلة. وأحزانه طويلة.

وكل نوع من لذاتها فيه هذه الفتنة والاختبار. ولكن أبلغ ما يكون وأشد فتنة:النساء؛ فإن فتنتهن عظيمة،والوقوع فيها خطير وضررها كبير؛ فإنهن مصائد الشيطان وحبائله،كما صاد بهن من مُعافى فأصبح أسير شهوته،رهين ذنبه،قد عَزَّ عليه الخلاص،والذنب ذنبه فإنه الذي لم يحترز من هذه البلية،وإلا فلو تحرز منها،ولم يدخل مداخل التهم،ولا تعرض للبلاء،واستعان باعتصامه بالمولى،لنجا من هذه الفتنة،وخلص من هذه المحنة.

ولهذا حذر النبي – ﷺ – في هذا الحديث منها على الخصوص. وأخبر بما جَرَّت على من قبلنا من الأمم؛ فإن في ذلك عبرة للمعتبرين،وموعظة للمتقين. والله أعلم.بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص:٩٥)

فالدنيا دار سفر لا دار إقامة ودار ممرّ لا دار مقرّ،و دار عبور لا دار سرور،وأنت في الدنيا عُرْضَةُ الأَسْقَامِ وَرَهِينَةُ الأيامِ وأَسِير الْمَنَايَا وَقَرِينُ الرَّزَايَا وَصَرِيعُ الشَّهَوَاتِ وَنُصُب الآفاتِ وَخَلِيفَةُ الأَمْوَاتِ،لا يحرص على الدنيا لبيب،ولا يُسَرُّ بها أريب،وهو على ثقة من فنائها،وغير طامع في بقائها،فكيف تنام عينُ من يخشى البيات وكيف تسكن نفس من تَوَقَّعَ في جميع أموره الممات.

واعلم أن الدُّنْيَا خُلقَت لتَجُوزَهَا لا لتَحُوزَهَا،ولتَعْبُرَهَا لا لتَعْمُرها فاقْتُلْ هَوَاكَ الْمَائِلَ إِلَيْهَا ولا تُعَوِّلْ عَلَيهَا،واعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرعة النَّوائِبِ ومَشْرَعَةُ المَصَائِبِ ومُفَرِّقَةُ المَجَامِعِ ومُجْرِيَةُ المَدَامِعْ.فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (١/ ١٤،بترقيم الشاملة آليا)

-٢٢ - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:" لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ منْكُمُ المَوْتَ لضُرٍّ نَزَلَ به، فَإنْ كَانَ لاَ بُدَّ مُتَمَنِّيًا للْمَوْت فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَت الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي "[٣٠]

---

[٣٠] - الأحاديث التي اتفق عليها البخاري ومسلم (ص:٦٤٦)٦٣٥١ - ١٧٩٠ - [ش أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة باب كراهة تمني الموت لضر نزل به رقم ٢٦٨٠]

هذا نهي عن تمني الموت للضر الذي ينزل بالعبد،من مرض أو فقر أو خوف،أو وقوع في شدة ومهلكة،أو نحوها من الأشياء. فإن في تمني الموت لذلك مفاسد.

منها:أنه يؤذن بالتسخط والتضجر من الحالة التي أصيب بها،وهو مأمور بالصبر والقيام بوظيفته. ومعلوم أن تمني الموت ينافي ذلك.

ومنها:أنه يُضعف النفس،ويحدث الخَوَر والكسل. ويوقع في اليأس،والمطلوب من العبد مقاومة هذه الأمور،والسعي في إضعافها وتخفيفها بحسب اقتداره،وأن يكون معه من قوة القلب وقوة الطمع في زوال ما نزل به. وذلك موجب لأمرين:اللطف الإلهي لمن أتى بالأسباب المأمور بها،والسعي النافع الذي يوجبه قوة القلب ورجاؤه.

ومنها:أن تمني الموت جهل وحمق؛ فإنه لا يدري ما يكون بعد الموت،فربما كان كالمستجير من الضر إلى ما هو أفظع منه،من عذاب البرزخ وأهواله.

ومنها:أن الموت يقطع على العبد الأعمال الصالحة التي هو بصدد فعلها والقيام بها،وبقية عمر المؤمن لا قيمة له. فكيف يتمنى انقطاع عملٍ،الذَّرةُ منه خير من الدنيا وما عليها.وأخص من هذا العموم:قيامه بالصبر على الضر الذي أصبه. فإن الله يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب.

ولهذا قال في آخر الحديث:"فإن كان لا بد فاعلاُ فليقلك اللهم أحيني إذا كانت الحياة خيراً لِي،وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي" فيجعل العبد الأمر مفوضاً إلى ربه الذي يعلم ما فيه الخير والصلاح له،الذي يعلم من مصالح عبده ما لا يعلم العبد،ويريد له من الخير ما لا يريده،ويلطف به في بلائه كما يلطف به في نعمائه.

والفرق بين هذا وبين قوله - ﷺ -:"لا يقل أحدكم:اللهم اغفر لي إن شئت. اللهم ارحمني إن شئت. ولكن ليعزم المسألة؛ فإن الله لا مكره له":أن المذكور في هذا الحديث الذي فيه التعليق بعلم الله وإرادته:هو في الأمور المعيّنة التي لا يدري العبد من عاقبتها ومصلحتها.

كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ

-٢٣ – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»[٣١]

وأما المذكور في الحديث الآخر:فهي الأمور التي يعلم مصلحتها بل ضرورتها وحاجة كل عبد إليها. وهي مغفرة الله ورحمته ونحوها. فإن العبد يسألها ويطلبها من ربه طلباً جازماً،لا معلقاً بالمشيئة وغيرها؛ لأنه مأمور ومحتم عليه السعي فيها،وفي جميع ما يتوسل به إليها.

وهذا كالفرق بين فعل الواجبات والمستحبات الثابت الأمر بها؛ فإن العبد يؤمر بفعلها أمر إيجاب أو استحباب،وبعض الأمور المعينة التي لا يدري العبد من حقيقتها ومصلحتها،فإنه يتوقف حتى يتضح له الأمر فيها.

واستثنى كثير من أهل العلم من هذا،جواز تمني الموت خوفاً من الفتنة. وجعلوا من هذا قول مريم – رضي الله عنه – ا:{يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا} [مريم:٢٣]. كما استثنى بعضهم تمني الموت شوقاً إلى الله. وجعلوا منه قول يوسف – ﷺ –:{أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف:١٠١]. وفي هذا نظر؛ فإن يوسف – ﷺ – لم يتمن الموت. وإنما سأل الله الثبات على الإسلام،حتى يتوفاه مسلماً،كما يسأل العبد ربه حسن الخاتمة. والله أعلم.بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص:٩٤)

[٣١] – صحيح البخاري (٨/ ٨٩)(٦٤١٦)

[ش (كأنك غريب) بعيد عن موطنه لا يتخذ الدار التي هو فيها موطنا ولا يحدث نفسه بالبقاء قال العيني هذه كلمة جامعة لأنواع النصائح إذ الغريب لقلة معرفته بالناس قليل الحسد والعداوة والحقد والنفاق والنزاع وسائر الرذائل منشؤها الاختلاط بالخلائق ولقلة إقامته قليل الدار والبستان والمزرعة والأهل والعيال وسائر العلائق التي هي منشأ الاشتغال عن الخالق. (عابر سبيل) مار بطريق وتعلقاته أقل من تعلقات الغريب (خذ من صحتك لمرضك) اشتغل حال الصحة بالطاعات بقدر يسد الخلل والنقص الحاصل بسبب المرض الذي قد يقعد عنها. (من حياتك لموتك) اغتنم أيام حياتك بالأعمال التي تنفعك عند الله تعالى بعد موتك]

يوصينا النبي الكريم – ﷺ – بوصية عظيمة بأن يكون الإنسان في هذه الدنيا كالغريب أو عابر السبيل الذي لا يرغب الإقامة في غير بلده وجاء النبي – ﷺ – بهذا التشبيه الرائع الدافع والحافز لكل

ثلاثة لا يهولهم الفزع ولا الحساب

-٢٤ - عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " ثَلَاثَةٌ لَا يَهُولُهُمُ الْفَزَعُ وَلَا الْحِسَابُ حَتَّى يُحْشَرُوا إِلَى الْجَنَّةِ عَلَى كُثْبَانٍ مِنْ مِسْكٍ أَسْوَدَ: رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ثُمَّ أَمَّ بِهِ قَوْمًا وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ، وَرَجُلٌ رَاعٍ فِي خَمْسِ صَلَوَاتٍ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، وَمَمْلُوكٌ لَمْ يَمْنَعْهُ الرِّقُّ عَنْ طَلَبِ مَا عِنْدَ اللَّهِ "[32]

من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا

عاقل مؤمن بأن لا يركن إلى الدنيا ولا يتعلق منها إلا بقدر ما يتعلق به المسافر أو الغريب جما غير وطنه،وقيل في ذلك:ترجو البقاء بدار لا بقاء لها وهل سمعت بظل غير منتقل والراوي عبد الله بن عمر يرشدنا إلى معنى الحديث اغتنام الأعمال الصالحة في صحة الإنسان قبل أن يحوله بينه وبين الأعمال الصالحة المرض أو العجز وفي الحياة قبل أن يحول بينه وبينها الموت.الخلاصة في شرح الأربعين النووية- علي بن نايف الشحود (ص:١٣٤)

في هذا الحديث ما يدل على أن رسول الله - ﷺ - حض على التشبه بالغريب؛ لأن الغريب إذا دخل بلدة لم ينافس أهلها في مجالسهم و لم يخرج من أن يروه على خلاف عادته في الملبوس،ولا يكون متدبرا معهم،وكذلك عابر السبيل فإنه لا يتدبر ولا يلج في الخصومات مع الناس ولا يشاحهم ناظرا إلى أن لبثه معهم أياما يسيرة.

فكل أحوال الغريب وعابر السبيل في الدنيا مستحبة أن يكون للمؤمن،لأن الدنيا ليست وطنا له،لأنها تحبسه عن داره،وهي الحائلة بينه وبين قراره.

وقول ابن عمر:(وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح) أي لا ينتظر بأعمال الليل الصباح بل بادر بالعمل؛ وكذلك (إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء) أي لا تؤخر أعمال الصباح إلى الليل،(وخذ من صحتك) أي اغتنم زمن القوة فاستسلف منك لك،واعلم أنه سيأتي عليك زمان طويل وأنت تحت الأرض لا يمكنك أن تذكر الله عز وجل فبادر في زمن سلامتك.الإفصاح عن معاني الصحاح (٤/ ٢٤٧)

[32] - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٣٢٠) صحيح

-٢٥ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - : مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ،لاَ يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا،لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ."[33]

إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد

-٢٦ - عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - ،قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ:" إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ "[34]

---

[33] - صحيح ابن حبان - (١ / ٢٧٩) (٧٨) صحيح

[ش (مما يبتغي به وجه الله) بيان للعلم. أي العلم الذي يطاب به رضا الله وهو العلم الديني. فلو طلب الدنيا بعلم الفلسفة ونحوه فهو غير داخل في أهل هذا الوعيد. (عرضا) أي متاع] .

[34] - صحيح مسلم (٣/ ١٥١٣) ١٥٢ - (١٩٠٥)

[ش (ناتل أهل الشام) وفي الرواية الأخرى فقال له ناتل الشامي وهو ناتل بن قيس الحزامي الشامي من أهل فلسطين وهو تابعي وكان أبوه صحابيا وكان ناتل كبير قومه (قوله - ﷺ - في الغازي والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار - دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين} وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصا وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصا)]

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:أَلْفَاظُ الْوَعِيدِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ كُلُّهَا مَقْرُونَةٌ بِشَرْطٍ،وَهُوَ:إِلاَّ أَنْ يَتَفَضَّلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلاَ عَلَى مُرْتَكِبِ تِلْكَ الْخِصَالِ بِالْعَفْوِ وَغُفْرَانِ تِلْكَ الْخِصَالِ،دُونَ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا وَكُلُّ مَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ مِنْ أَلْفَاظِ الْوَعْدِ مَقْرُونَةٌ بِشَرْطٍ،وَهُوَ:إِلاَّ أَنْ يَرْتَكِبَ عَامِلُهَا مَا يَسْتَوْجِبُ بِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ،حَتَّى يُعَاقَبَ،إِنْ لَمْ يَتَفَضَّلْ عَلَيْهِ بِالْعَفْوِ،ثُمَّ يُعْطَى ذَلِكَ الثَّوَابَ الَّذِي وُعِدَ بِهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْفِعْلِ. صفة النار في القرآن والسنة (ص:٤٢)

في هذا الحديث من الفقه أن هؤلاء الثلاثة فيما أرى: لم تكن أفعالهم إلا ليقال عنهم. فأما لو كانت أفعالهم لأجل الله تعالى؛ ثم عقب ذلك أن يقال جريء وعالم وجواد فسرهم ذلك لم تكن إيثارهم لهذا المدح مما يحل عقدة عزمهم الأول،ولم يكن هذا التوبيخ متناولا لهم؛ لأنه إذا تعلم العالم العلم لله ثم سره أن يقال إنه عالم لم يتناوله هذا الذم،وكذلك المنفق والمجاهد إذا قيل بعد خلوص نيتهما جواد وجريء لم يضرهما إذا لم يكن مبنى قصدهما لذلك.

والذي أرى لكل مجاهد ومعلم للخير ومنفق في سبيل الله عز وجل أن يجتهد في إخفاء ذلك ليسلم أو في إظهاره ليقتدى به؛ فإن عرض له في إحدى الطريقين عارض نزغ من الشيطان أتبعه بالاستغفار والإنابة،والله الموفق لكل مؤمن. والدليل على ما ذهبنا إليه من معنى هذا الحديث الدعاء في نطق الحديث:(ولكنك تعلمت ليقال) فأتى باللام المستغرقة للجزاء عن الفعل،وهو قوله:(ولكنك فعلت ليقال) وهذا لا يدخل فيه من فعل شيئا لله فقيل فيه؛ فسره أن قيل.

ويدل على أنه لم يكن في فعله إرادة الله سبحانه بشيء ما ولا مخالطة بحال؛ لأن اللام قد أخبر به عما احتوت إرادته عليه في فعله،ولم يكن في ذلك شيء لله،فلذلك ما كان جزاه الحق أنه لم يكن له في الآخرة من نصيب؛ لأنه لم يكن في عمله شيء لها. الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ٣٦)

وَفِي الْحَدِيثِ:إِنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا بَلَغَهُ هَذَا الْحَدِيثُ،بَكَى حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ،فَلَمَّا أَفَاقَ،قَالَ:صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ،قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا

ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا

-٢٧ - عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»[٣٥]

عظم الجزاء مع عظم البلاء

يُبْخَسُونَ - أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ} [هود:١٥ - ١٦] (هُودٍ:١٥ - ١٦). جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (١/ ٧٧)

[٣٥] - تهذيب صحيح مسلم- علي بن نايف الشحود (ص:٤٣) (٣٤)

[ش (من رضي) قال صاحب التحرير رحمة الله معنى رضيت بالشيء قنعت به واكتفيت به و لم أطلب معه غيره فمعنى الحديث لم يطلب غير الله تعالى و لم يسع في غير طريق الإسلام و لم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد -]

(ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ)] أَيْ:نَالَ وَأَدْرَكَ وَأَصَابَ وَوَجَدَ حَلَاوَتَهُ وَلَذَّتَهُ،وَأَصْلُ الذَّوْقِ وُجُودُ أَدَقِّ طَعْمٍ فِي الْفَمِ،وَالْمُرَادُ بِهِ الذَّوْقُ الْمَعْنَوِيُّ،وَأَغْرَبَ ابْنُ حَجَرٍ حَيْثُ قَالَ:ذَوْقًا حِسِّيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا. [(مَنْ رَضِيَ)] أَيْ:قَنِعَ نَفْسُهُ،وَطَابَ قَلْبُهُ،وَانْشَرَحَ صَدْرُهُ،وَاكْتَفَى [(بِاللَّهِ رَبًّا)] أَيْ:مَالِكًا وَسَيِّدًا وَمُتَصَرِّفًا،وَنَصَبُهُ عَلَى التَّمْيِيزِ،وَكَذَا أَخَوَاتُهُ،[(وَبِالْإِسْلَامِ)] أَيِ الشَّامِلِ لِلْإِيمَانِ [(دِينًا)] :عَطْفُ عَامٍّ عَلَى خَاصٍّ [(وَبِمُحَمَّدٍ)]- ﷺ -:وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مُلْحَقٌ،وَلَيْسَ لَفْظُ النُّبُوَّةِ [(رَسُولًا)] عَطْفُ خَاصٍّ عَلَى عَامٍّ،وَالْمَقْصُودُ مِنَ الرِّضَا الِانْقِيَادُ الْبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ،وَالْكَمَالُ أَنْ يَكُونَ صَابِرًا عَلَى بَلَائِهِ،وَشَاكِرًا عَلَى نَعْمَائِهِ،وَرَاضِيًا بِقَدَرِهِ وَقَضَائِهِ،وَمَنْعِهِ وَإِعْطَائِهِ،وَأَنْ يَعْمَلَ بِجَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ بِامْتِثَالِ الْأَوَامِرِ،وَاجْتِنَابِ الزَّوَاجِرِ،وَأَنْ يَتْبَعَ الْحَبِيبَ حَقَّ مُتَابَعَتِهِ فِي سُنَّتِهِ،وَآدَابِهِ،وَأَخْلَاقِهِ،وَمُعَاشَرَتِهِ،وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا،وَالتَّوَجُّهِ الْكُلِّيِّ إِلَى الْعُقْبَى. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٧٦)

وَالرِّضَا بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ تَتَضَمَّنُ الرِّضَا بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،وَبِالرِّضَا بِتَدْبِيرِهِ لِلْعَبْدِ وَاخْتِيَارِهِ لَهُ. وَالرِّضَا بِالْإِسْلَامِ دِينًا يَتَضَمَّنُ اخْتِيَارَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ. وَالرِّضَا بِمُحَمَّدٍ رَسُولًا يَتَضَمَّنُ الرِّضَا بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ،وَقَبُولِ ذَلِكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالِانْشِرَاحِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء:٦٥] (النِّسَاءِ:٦٥) . جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (١/ ١١٨)

-٢٨ - عَنْ أَنَس، عَنْ رَسُولِ الله - ﷺ -، أَنَّهُ قَالَ: عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاَءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ.[٣٦]

إِنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ

[٣٦] - سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٣٨)(٤٠٣١) صحيح لغيره

(فمن رضي فله الرضا) أي رضا الله تعالى عنه جزاء لرضاه. أو فله جزاء رضاه. وكذلك قوله فله السخط. ثم الظاهر أنه تفصيل لمطلق المبتلين لالمن أحبهم فابتلاهم. إذ الظاهر أنه تعالى يوفقهم للرضا فلا يسخط منهم أحد

" إِنَّ عُظْمَ الْجَزَاءِ) :بِضَمِّ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الظَّاءِ،وَقِيلَ بِكَسْرٍ ثُمَّ فَتْحٍ أَيْ:عَظَمَةُ الْأَجْرِ وَكَثْرَةُ الثَّوَابِ مَقْرُونٌ. (مَعَ عُظْمِ الْبَلَاءِ) :كَيْفِيَّةً وَكَمِّيَّةً،جَزَاءً وِفَاقًا،وَأَجْرًا طِبَاقًا. (وَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - إِذَا أَحَبَّ) أَيْ:إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحِبَّ. (قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ) :فَإِنَّ الْبَلَاءَ لِلْوُلَاةِ،وَالِابْتِلَاءَ لِلْأَوْلِيَاءِ. (فَمَنْ رَضِيَ) أَيْ:بِالْبَلَاءِ. (فَلَهُ الرِّضَا) أَيْ:فَلْيَعْلَمْ أَنَّ لَهُ الرِّضَا مِنَ الْمَوْلَى،أَوْ فَيَحْصُلُ لَهُ الرِّضَا فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى،قِيلَ:رِضَا الْعَبْدِ مَحْفُوفٌ بِرِضَاءَيْنِ لِلَّهِ تَعَالَى سَابِقًا وَلَاحِقًا،وَأَنَا أَقُولُ:إِنَّمَا اللَّاحِقُ أَثَرُ السَّابِقِ،وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْحَقَائِقِ. (وَمَنْ سَخِطَ) :بِكَسْرِ الْخَاءِ أَيْ:كَرِهَ بَلَاءَ اللَّهِ،وَفَزِعَ وَلَمْ يَرْضَ بِقَضَائِهِ. (فَلَهُ السَّخَطُ) :مِنَ اللَّهِ أَوَّلًا وَالْغَضَبُ عَلَيْهِ آخِرًا.

وَاعْلَمْ أَنَّ الرِّضَا وَالسَّخَطَ حَالَانِ مُتَعَلِّقَانِ بِالْقَلْبِ،فَكَثِيرٌ مِمَّنْ لَهُ أَنِينٌ مِنْ وَجَعٍ وَشِدَّةِ مَرَضٍ وَقَلْبُهُ مَشْحُونٌ مِنَ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ. هَذَا وَقَالَ الطِّيبِيُّ:قَوْلُهُ:إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ جَمِيعًا،وَحَذَفَ ذِكْرَ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ لِدَلَالَةِ التَّفْصِيلِ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّ الْفَاءَ فِي فَمَنْ تَفْصِيلِيَّةٌ،وَالتَّفْصِيلُ غَيْرُ مُطَابِقٍ لِلْمُفَصَّلِ ؛ لِأَنَّ الْمُفَصَّلَ يَشْتَمِلُ عَلَى فَرِيقٍ وَاحِدٍ وَهُوَ أَهْلُ الْمَحَبَّةِ،وَالتَّفْصِيلُ عَلَى فَرِيقَيْنِ:أَهْلِ الرِّضَا،وَأَهْلِ السَّخَطِ. قَالَ مِيرَكُ:أَقُولُ:وَلِلْحَدِيثِ مَحْمَلٌ آخَرُ،وَهُوَ أَنَّ نُزُولَ الْبَلَاءِ عَلَامَةُ الْمَحَبَّةِ فَمَنْ رَضِيَ بِالْبَلَاءِ صَارَ مَحْبُوبًا حَقِيقِيًّا لَهُ تَعَالَى،وَمَنْ سَخِطَ صَارَ مَسْخُوطًا عَلَيْهِ،تَأَمَّلْ،ثُمَّ قَالَ الطِّيبِيُّ:فُهِمَ مِنْهُ أَنَّ رِضَا اللَّهِ مَسْبُوقٌ بِرِضَاءِ الْعَبْدِ،وَمُحَالٌ أَنْ يَرْضَى الْعَبْدُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بَعْدَ رِضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ تَعَالَى:{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [المائدة:١١٩] وَمُحَالٌ أَنْ يَحْصُلَ رِضَاءُ اللَّهِ،وَلَا يَحْصُلُ رِضَا الْعَبْدِ فِي الْآخِرَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:{يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ - ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً} [الفجر:٢٧ - ٢٨] . فَعَنِ اللَّهِ الرِّضَا أَزَلًا وَأَبَدًا،سَابِقًا وَلَاحِقًا. (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ) قَالَ مِيرَكُ:بِسَنَدِ الْحَدِيثِ الَّذِي قَبْلَهُ. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ١١٤٢)

-٢٩ - عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ- يَقُولُ: -وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ-: "إِنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ" مُتَّفقٌ عَلَيْه[٣٧].

---

[٣٧] - صحيح البخاري (١/ ٢٠) (٥٢) وصحيح مسلم (٣/ ١٢١٩) ١٠٧ - (١٥٩٩)

[ش (وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيه) أي مدهما إليهما ليأخذهما إشارة إلى استيقانه بالسمع (إن الحلال بين والحرام بين) أجمع العلماء على عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام.

قال جماعة هو ثلث الإسلام وإن الإسلام يدور عليه وعلى حديث الأعمال بالنية وحديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

وقال أبو داود السجستاني يدور على أربعة أحاديث هذه الثلاثة وحديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقيل حديث ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس.

قال العلماء وسبب عظم موقعه أنه - ﷺ - نبه فيه على إصلاح المطعم والمشرب والملبس وغيرها وأنه ينبغي أن يكون حلالا وأرشد إلى معرفة الحلال وأنه ينبغي ترك المشتبهات فإنه سبب لحماية دينه وعرضه وحذر من مواقعة الشبهات وأوضح ذلك بضرب المثل بالحمى ثم بين أهم الأمور وهو مراعاة القلب فقال - ﷺ - (ألا وإن في الجسد مضغة الخ) فبين - ﷺ - أن بصلاح القلب يصلح باقي الجسد وبفساده يفسد باقيه،وأما قوله - ﷺ - (الحلال بين والحرام بين) فمعناه أن الأشياء ثلاثة أقسام حلال بين واضح لا يخفى حله كالخبز والفواكة والزيت والعسل والسمن ولبن مأكول اللحم وبيضة وغير ذلك من المطعومات وكذلك الكلام والنظر والمشي وغير ذلك من التصرفات فيها حلال بين واضح لا شك في حله. وأما الحرام البين فكالخمر والخنزير والميتة والبول والدم المسفوح وكذلك الزنى والكذب والغيبة والنميمة والنظر إلى الأجنبية وأشباه ذلك. وأما المشتبهات فمعناها أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة فلهذا لا يعرفها كثير من الناس ولا يدركون حكمها وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة و لم يكن فيه

نص ولا إجماع اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي فإذا الحقه به صار حـلالا وقـد يكون دليله غير خال من الإحتمال البين فيكون الورع تركه ويكون داخلا في قوله – ﷺ – فمـن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه (استبرأ لدينه وعرضه) أي حصل له البراءة لدينه من الـذم الشرعي وصان عرضه عن كلام الناس فيه (ألا وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه) معنـاه أن ملوك العرب وغيرهم يكون لكل ملك منهم حمى يحميه عن الناس ويمنعهم دخوله فمن دخله أوقع به العقوبة ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمى خوفا من الوقوع فيه ولله تعالى أيضا حمى وهـي محارمه أي المعاصي التي حرمها الله كالقتل والزنى والسرقة والقذف والخمر والكذب والغيبة والنميمة وأكل المال بالباطل وأشباه ذلك فكل هذا حمى الله تعالى من دخله بارتكابه شيئا من المعاصي استحق العقوبة ومن قاربه يوشك أن يقع فيه فمن احتاط لنفسه لم يقاربه و لم يتعلق بشيء يقربه من المعصية فلا يدخل في شيء من الشبهات (ألا وإن في الجسد مضغة) قال أهل اللغة يقال صلح الشيء وفسد بفتح اللام والشين وضمهما والفتح أفصح وأشهر والمضغة القطعة من اللحم سميت بذلك لأنها تمضغ في الفم لصغرها قالوا المراد تصغير القلب بالنسبة إلى باقي الجسد مع أن صلاح الجسد وفساده تابعان للقلب]

سمع النعمان بن بشي رضي الله عنهما النبي ﷺ يقول وأكد سماعه منه بإشارته إلى أذنيه:إن الحلال بين حكمه،واضح أمـه،لا يخفـى حِلـهُ،وذلك كالخبز،والفواكه،والعسـل،واللبن،وغير ذلـك مـن المأكولات،والمشروبات،والملابس،وغير ذلك من الكلام،والمعاملات،والتصرفات.

وأن الحرام بين حكمه،واضح تحريمه،من أكل الختزير،وشـرب الخمـر،ولبس الحريـر والـذهب للرجل،والزنا،والغيبة،والنميمة،والحقد،والحسد وغر ذلك.

فهذان القسمان بينا الحكم،لما ورد فيهما من النصوص الواضحة القاطعة،وإن هناك قسما ثالثا مشتبه الحكم،غير واضح الحل أو الحرمة،وهذا الاشتباه راجع إِلى أمور.

منها:تعارض الأدلة،بحيث لا يظهر الجمع لا الترجيح بينها،فهذا مشتبه في حق المجتهد الذي يطلـب الأحكام من أدلتها.

فمن انبهم عليه الحكم الراجح،فهو في حقه مشتبه،فالورع اتقاء الشبهة ومنها تعارض أقوال العلماء وتضاربها،وهذا في حق المقلد الذي لا ينظر في الأدلة.

فالورع في حق هذا،اتقاء المشتبه.

ومنها:ما جاء في النهى عنها حديث ضعيف،يوقع الشك في مدلوله.

ومنها:المكروهات جميعها،فهي رقية (أي:سُلَّم يوصل) إلى فعل المحرمات والإقدام عليها.

فإن النفس إذا عصمت عن المكروه،هابت الإقدام عليه ورأته معصية فيكون حاجزا منيعا عن المحرمات.
ومنها:المباح الذي يخشى أن يكون ذريعة إلى المحرم،أو يجر- في بعض الأحول- إلى المحرم،ومثله الإفراط في المباحات فتسبب مجاوزته إلى الحرام،إما عند فقده،أو للإفراط فيما هو فيه.
وقد كان السلف رضي الله عنهم،يتركون المباحات اليسيرة،خوفاً من المكروه والحرام.
ثم ضرب ﷺ مثلا للمحرمات،بالحمى الذي يتخذه الخلفاء والملوك مرعى لدوابهم.
ومثَّل المُلمَّ بالمشتبهات،بالراعي الذي يسيم ماشيته حول الحمى،فيوشك ويقرب أن ترعى ماشيته فيه،لقربه منه،كذلك الملم في المشتبهات،يوشك أن يقع في المحرمات،وهو تصوير بديع،ومثال قريب.
ثم ذكر ﷺ أن في الجسد لحمة صغيرة لطيفة،بقدر ما يمضغ،وأن هذه القطعة من اللحم،هي القلب،وأن هذا القلب،هو السلطان المدبر لمملكة الأعضاء وما تأتي من أعمال،كما أن عليه مدار فسادها وما تجره من شر.
فإن صلح هذا القلب،فإنه لن يأمر إلا بما فيه الخير وسيصلح الجسد كله.
وإن فسد،فسيأمر بالفساد والشر،وتكون الأعمال معكوسة منكوسة والله ولى التوفيق.
وبالجملة،فهذا حديث عظيم جليل،وقاعدة من قواعد الإسلام،وأصل من أصول الشريعة،عليه لوائح أنوار النبوة ساطعة،ومشكاة الرسالة مضيئة،فهو من جوامع كلم النبي ﷺ. ويحتاج استيفاء الكلام عليه إلى مصنف مستقل طويل.
وهذه نبذة تفتح الباب أمام طالب العلم،ليراجع ويتدبر،ويفكر،وسيجد فيه من كنوز المعرفة،الخير الوفير.
والله ولي التوفيق،وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (ص:٧٠٧)
ما يؤخذ من الحديث:
١ - الحلال بيِّنٌ حكمه،واضحٌ أمره،لا يخفى حله؛ وذلك كالخبز،والفواكه،والعسل،واللبن،وجميع المأكولات،والمشروبات،والملابس،الواضح حلها،وكذا المعاملات،والتصرفات.
٢ - وإنَّ الحرام بيِّنٌ حكمه،واضحٌ تحريمه؛ من أكل لحم الخنزير،وشُرب الخمر،ولبس الحرير،والذَّهب للرَّجل،والزنى،والغِيبة،والنميمة،والحقد،والحسد،وغير ذلك.
فهذان القسمان الحكم فيها بيِّنٌ؛ لما ورد فيهما من النصوص القاطعة.
٣ - هناك قسمٌ ثالثٌ مُشْتبه الحكم،غير واضح الحل أو الحرمة،وهذا الاشتباه راجعٌ إلى أمور:

منها:تعارض الأدلة:بحيث لا يظهر الجمع،ولا الترجيح بينها؛ فهذا مشتبهٌ في حقِّ المجتهد الَّذي يطلب الأحكام من أدلتها.
فمن انبهم عليه الحكم الرَّاجح،فيو في حقِّهِ مشتبه؛ فالورع اتقاء الشبهة.
ومنها:تعارض أقوال العلماء وتضاربها؛ وهذا في حق المقلِّد الَّذي لا ينظر في الأدلة؛ فالورع في حق هذا اتقاء المشتبه.
ومنها:ما جاء في النَّهي عنها حديث ضعيف،يوقع الشك في مدلوله.
ومنها:المكروهات جميعها:فهي رقية -أي:سُلّم وَصْل- إلى فعل المحرمات،والإقدام عليها؛ فإنَّ النَّفس إذا عصمت عن المكروه،هابت الإقدام عليه،ورأته معصية؛ فيكون حاجزاً منيعًا عن المحرمات.
ومنها:المباح الَّذي يُخشى أنْ يكون ذريعةً إلى المحرَّم،أو يجرّ -في بعض الأحوال- إلى المحرم،ومثله الإفراط في المباحات،فتسبب مجاوزته إلى الحرام،إمَّا عند فقده،أو للإفراط فيما هو فيه.
وبناءً عليه:فإنَّ هذا الحديث أصلٌ في الورع،وهو أنَّ ما اشتبه على الرجل أمره في الحل أو الحرمة،فالورع تركه وتجنبه؛ فإنَّه إذا لم يتركه واستمر عليه،واعتاده،جَرَّ ذلك إلى الوقوع في الحرام.
٤ - وقد كان السلف -رَضِي الله عنهم- يتركون المباحات الكثيرة؛ خوفًا من المكروه والحرام؛ ذلك أنَّ من لم يتعد الشُّبَهَ في كسبه ومعاشه،فقد عرَّض دينه وعرضه للطعن.
٥ - ثمَّ ضربَ -ﷺ- مثلًا للمحرَّمات بالحِمَى،الَّذي يتخذه الخلفاء والملوك مرعى لدوابِّهم.ومثَّل المُلِمّ بالمشتبهات بالرَّاعي،الَّذي يسيم ماشيته حول الحمى،فيوشك ويقرب أنْ ترعى ماشيته فيه؛ لقربه منه،كذلك المُلِمّ بالمشتبهات يوشك أنْ يقع في المحرمات،وهو تصويرٌ بديعٌ،ومثالٌ قريب.
٦ - ثم ذكر -ﷺ- أنَّ في الجسد لحمةً صغيرةً لطيفةً بقدر ما يمضغ،وأنَّ هذه القطعة من اللحم هي القلب،وأنَّ القلب هو السلطان المدبِّر لمملكة الأعضاء،وما تأتي من أعمالٍ؛ فعليه مدار فسادها أو صلاحها.
فإن صلح القلب،فإنه لن يأمر إلاَّ بما فيه الخير،وسيصلح الجسد كله،وإن فسد،فسيأمر بالفساد والشر،وتكون الأعمال معكوسة منكوسة،والله ولي التوفيق.
٧ - وبالجملة فهذا حديثٌ عظيم جليل،وقاعدةٌ من قواعد الإسلام،وأصلٌ من أصول الشريعة،عليه لوائح أنوار النُّبوة ساطعة،ومشكاة الرِّسالة مضيئة؛ فهو من جوامع كلام النَّبيِّ -ﷺ-،ويحتاج استيفاء الكلام عليه إلى مصنَّف مستقل طويل.
٨ - اتَّفق العلماء على عظم هذا الحديث،وكثرة فوائده،وأنَّه من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام،قيل:هو ثلثه،وحديث:"إنَّما الأَعمال بالنِّيات"،ثلث،وحديث:"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" الثلث الباقي.

مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللَّه بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ

-٣٠ - عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّه - ﷺ -: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللَّه بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّه سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْه، وَأَسْخَطَ عَلَيْه النَّاسَ»[٣٨]

وعَنْ رَجُلٍ، منْ أَهْلِ الْمَدينَة قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائشَةَ أُمِّ الْمُؤْمنينَ أَن اكْتُبِي إِلَيَّ كتَابًا تُوصِينِي فيه، وَلَا تُكْثِري عَلَيَّ، فَكَتَبَتْ عَائشَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه - ﷺ - يَقُولُ: «مَنِ التَمَسَ رِضَاءَ اللَّه بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّه وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ»[٣٩]

---

٩ - قوله:"الحلال بيِّن،والحرام بيِّن ... ":معناه:أنَّ الأشياء ثلاثة أقسام:حلال بيِّن واضح حله،وحرام بيِّن واضح الحرمة،والمتشابه هو الَّذي يحتمل الأمرين؛ فاشتبه على النَّاظر بأيهما يلحق،وإليه أشار - ﷺ- بقوله:"لا يعلمهنَّ كثيرٌ من النَّاس"؛ ففيه أنَّه يعلمهنَّ بعض النَّاس،وهم الرَّاسخون من العلماء،فإذا اجتهد المجتهد،فألحقه بأحدهما،صار حلالًا أو حرامًا،فإذا فَقَد هذه "الدلائل" فالورع تركه؛ لأنَّه دخل بقوله -ﷺ-:"فمن اتَّقى الشبهات،فقد استبرأ لدينه وعرضه".توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٧/ ٣٥٣)

[٣٨] - صحيح ابن حبان - مخرجا (١/ ٥١٠) (٢٧٦) صحيح

[٣٩] - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٦١٠) (٢٤١٤) حسن لغيره

(وَعَنْ مُعَاوِيَةَ) أَيِ:ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ صَحَابِيَّانِ مَشْهُورَانِ (أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَائِشَةَ) أَيْ:أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (أَنِ اكْتُبِي):أَنْ مَصْدَرِيَّةٌ أَوْ مُفَسِّرَةٌ لِمَا فِي الْكِتَابَةِ مِنْ مَعْنَى الْقَوْلِ (إِلَيَّ) أَيْ:مُرْسَلًا أَوْ مَوْصُولًا حَالٌ أَوْ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ:(كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ) أَيْ:فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ مِنْ كُلِّ بَابٍ (وَلَا تُكْثِرِي) أَيْ:بِالْإِطْنَابِ،بَلْ أَوْجِزِي بِكَلَامٍ جَامِعٍ يَكُونُ فَصْلَ الْخِطَابِ،لِأَنَّهَا مِنْ أَصْلِ بَيْتِ مَنْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْحِكَمِ وَبَدَائِعَ الْكَلِمِ. (فَكَتَبَتْ:سَلَامٌ عَلَيْكَ):وَاقْتَصَرَتْ عَلَى غَنِيمَةِ السَّلَامَةِ خَوْفَ السَّآمَةِ (أَمَّا بَعْدُ) أَيْ:بَعْدَ السَّلَامِ أَوْ مَا بَعْدَ مَا سَبَقَ مِنَ الْكَلَامِ (فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ:مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ) أَيْ:مَنْ طَلَبَ رِضَاهُ فِي شَيْءٍ يَسْخَطُ النَّاسُ عَلَيْهِ بِسَبَبِهِ (كَفَاهُ اللَّهُ مُئُونَةَ النَّاسِ) أَيْ:وَمُئُونَةَ شَرِّهِمْ مِنَ الظُّلْمِ عَلَيْهِ وَالْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ (وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ):بِتَخْفِيفِ الْكَافِ أَيْ:خَلَّاهُ وَتَرَكَ نَصْرَهُ وَدَفَعَهُ (إِلَى النَّاسِ):وَهَذَا وَصِيَّةٌ جَامِعَةٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ. قَالَ الْمُظْهِرُ يَعْنِي إِذَا

ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالأَجْرِ

-٣١- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، أَكْثَرُنَا ظِلًّا الَّـذِي يَسْتَظِلُّ بِكِسَائِهِ، وَأَمَّا الَّذِينَ صَامُوا فَلَمْ يَعْمَلُوا شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِينَ أَفْطَرُوا فَبَعَثُوا الرِّكَابَ وَامْتَهَنُوا وَعَالَجُوا، فَقَالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «ذَهَـبَ الْمُفْطِـرُونَ الْيَـوْمَ بِالأَجْرِ»[40]

عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ فِي فِعْلِهِ رِضَا اللَّهِ وَغَضَبَ النَّاسِ أَوْ عَكْسِهِ،فَإِنْ فَعَلَ الْأَوَّلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَدَفَعَ عَنْهُ شَرَّ النَّاسِ،وَإِنْ فَعَلَ الثَّانِي وَكَلَهُ إِلَى النَّاسِ يَعْنِي سَلَّطَ النَّاسَ عَلَيْهِ حَتَّى يُؤْذُوهُ وَيَظْلِمُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ شَرَّهُمْ. وَفِي النِّهَايَةِ:وَكَلْتُ أَمْرِي إِلَى فُلَانٍ أَيْ:أَلْجَأْتُهُ إِلَيْـهِ وَاعْتَمَـدْتُ فِيـهِ عَلَيْـهِ. (وَالسَّـلَامُ عَلَيْكَ):فَالْأَوَّلُ بِمَنْزِلَةِ سَلَامِ الْمُلَاقَاةِ،وَالثَّانِي فِي مَرْتَبَةِ الْمُوَادَعَةِ أَوْ كَأَنَّهَا قَالَتْ:السَّلَامُ عَلَيْـكَ أَوَّلًـا وَآخِرًا أَوْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،وَفِي تَكْرَارِ السَّلَامِ إِشَارَةٌ خَفِيَّةٌ إِلَى تَأْكِيدِ طَلَبِ السَّلَامَةِ وَتَرْكِ مَا يُؤَدِّي إِلَى الْمَلَامَةِ".مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٠٤)

[40] - الأحاديث التي اتفق عليها البخاري ومسلم (ص:٣٧٤)٢٨٩٠ - ١٠٥٩ -[ش أخرجه مسلم في الصيام باب أجر المفطر في السفر إذا تولى العمل رقم ١١١٩. (أكثرنا ظلا ..) يريد أنه لم يكن لهم أخبية يستظلون بها لما كانوا عليه من القلة فكان بعضهم يضع يده على رأسه يتقي بها الشـمس ويستظل وبعضهم يضع كساءه يستظل به ولا يوجد ما هو فوق ذلك. (فلم يعملوا شيئا) لعجزهم. (الركاب) الإبل التي يسار عليها أثاروها إلى الماء للسقي وغيره. (امتهنوا وعالجوا) خدموا الصائمين فتناولوا السقي والطبخ وهيؤوا العلف وضربوا الأبنية والخيام. (بالأجر) أخذوا الأجر الكامل الأوفر لتعدي نفعهم لغيرهم بينما كان للصائمين أجر صيامهم وحده لأن نفعهم كان قاصرا عليهم].

ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ) أَيْ بِالثَّوَابِ الْأَكْمَلِ لِأَنَّ الْإِفْطَارَ كَانَ فِي حَقِّهِمْ حِينَئِذٍ أَفْضَـلَ،وَفِي ذِكْرِ الْيَوْمِ إِشَارَةٌ إِلَى عَدَمِ إِطْلَاقِ هَذَا الْحُكْمِ،وَقَالَ الطِّيبِيُّ:أَيْ أَنَّهُمْ مَضَوْا وَاسْتَصْحَبُوا الْأَجْرَ وَلَـمْ يَتْرُكُوا لِغَيْرِهِمْ شَيْئًا مِنْهُ،عَلَى طَرِيقَةِ الْمُبَالَغَةِ يُقَالُ ذَهَبَ بِهِ إِذَا اسْتَصْحَبَهُ وَمَضَى بِهِ مَعَهُ اهـ يَعْنِـي بِالْأَجْرِ كُلِّهِ أَوْ بِكُلِّ الْأَجْرِ مُبَالَغَةً،هَذَا وَمَا ذَكَرَهُ الطِّيبِيُّ مِنْ أَنَّهُ كَقَوْلِهِ - تَعَـالَى - {ذَهَـبَ اللَّـهُ بِنُورِهِمْ} [البقرة:١٧] الْكَشَّافُ،يُقَالُ ذَهَبَ بِهِ إِذَا اسْتَصْحَبَهُ وَمَضَى مَعَهُ،وَهُوَ مَذْهَبُ الْمُبَرِّدِ غَيْـرُ صَحِيحٍ فِي الْآيَةِ لِأَنَّ مَعْنَاهَا أَذْهَبَهُ فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلِاسْتِحَالَةِ الْمُضِيِّ وَالِاسْتِصْحَابِ مَعَ نُورِهِمْ فِي حَقِّهِ - تَعَالَى -مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٤٠٢)

ودل الحديث على ما يلي:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا، وَهُوَ يُحِبُّهُ

-٣٢ - عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا، وَهُوَ يُحِبُّهُ، كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ» [٤١]

أولا :من صفات الداعية :حسن الصحبة وخدمة الرفيق في السفر :دل هذا الحديث على أن من الصفات الجميلة حسن الصحبة وخدمة الرفيق في السفر،ولهذا خدم المفطرون الصائمين في هذا الحديث،وأثنى عليهم رسول الله ﷺ .

فينبغي للداعية أن يحسن صحبة من رافقه بأدب وحسن خلق .

ثانيا :من صفات الداعية :التعاون على البر والتقوى :

ظهر في هذا الحديث التعاون في الجهاد على طاعة الله بخدمة المجاهدين،والذي دل عليه مفهوم الحديث أن جميع المفطرين تعاونوا على خدمة المجاهدين الصائمين،فأثاروا الإبل،وقاموا بسقيها،وعقلها،وعلفها،وزاولوا خدمة إخوانهم .

فينبغي للدعاة التعاون على كل ما فيه مصلحة الدعوة وأصحاب الدعوة،قال ابن حجر رحمه الله في فوائد هذا الحديث :" وفيه الحض على المعاونة في الجهاد،وأن الفطر في السفر أولى من الصيام " .

ثالثا :من أساليب الدعوة :الترغيب :

دل هذا الحديث على أسلوب الترغيب ؛ لقوله ﷺ للمجاهدين :« ذهب المفطرون اليوم بالأجر » قال ابن حجر رحمه الله :" أي بالأجر الوافر،وليس المراد نقص أجر الصوّام،بل المراد أن المفطرين حصل لهم أجر عملهم ومثل أجر الصوام ؛ لتعاطيهم أشغالهم وأشغال الصوام " .

فينبغي للداعية أن يستخدم أسلوب الترغيب في دعوته ؛ لما له من الأهمية والتأثير في نفوس المدعوين .فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري (٢/ ١١٤)

[٤١] - الزهد لأحمد بن حنبل (ص:١٣)(٥٧) ومسند أحمد مخرجا (٣٩/ ٣٣)(٢٣٦٢٢) صحيح

(إن الله تعالى ليتعاهد عبده المؤمن) لا الفاجر فإنه يمد له مداً (بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالخير) لأن البلاء خير للعبد (وإن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا) من نعيمها وحظها العاجل (كما يحمي المريض أهله الطعام) وذلك أنهم يحمونه منه خشية من زيادة العلة أو تأخر برئها عن ظن منهم لذلك والرب تعالى يعلم أنه لا يأتي من الدنيا إليه إلا ضره الضر الذي لا نسبة لضر طعام المريض إليه فإنها تضر قلبه وقالبه ودنياه وآخرته فإذا أحبه حماه كما أن من أحب مريضه حماه عما يضره ". التنوير شرح الجامع الصغير (٣/ ٣٤١)

ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ

-٣٣- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعدِيِّ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ - ﷺ - رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ النَّاسُ» [٤٢]

---

[٤٢] - سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٧٣) (٤١٠٢) صحيح لغيره

جاء رجل إلى رسول الله - ﷺ - يطلب منه أن يرشده إلى عمل إذا عمله يكون سببا لمحبة الله له ومحبة الناس،فأرشده النبي - ﷺ - إلى عمل جامع شامل يسبب له محبة الله ومحبة الناس. فقال له - ﷺ -:"ازهد في الدنيا".أي فلا تطلب منها إلا ما تحتاجه وتترك الفاضل. وما لا ينفع في الآخرة وتتورع مما قد يكون فيه ضرر في دينك وازهد في الدنيا التي يتعاطاها الناس،فإذا صار بينك وبين أحد منهم حق أو عقد من العقود فكن كما ورد في الحديث عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -:«رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ،سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى،سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى،سَمْحًا إِذَا قَضَى» لتكون محبوبا عند الناس ومرحوما عند الله.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) أن الزهد في الدنيا من أسباب محبة الله تعالى لعبده،ومحبة الناس له ..

(٢) أنه لا بأس بالسعي فيما تكتسب به محبة العباد مما ليس بمحرم،بل هو مندوب إليه،كما يدل عليه الأمر بإفشاء السلام،وغير ذلك من جوالب المحبة التي أمر بها الشارع ..

(٣) على الإنسان أن يعامل الناس معاملة حسنة لتكون سببا لمحبته.

(٤) يجب على المؤمن أن يسعى لأن يكون محبوباً عند الله وعند الناس.

(٥) البحث عن محبة الناس لا يناقض محبة الله ولا يعارضها فإن المسلم طيب محبوب عند الله ومحبوب عند الناس وفي ا؟تمع.

(٦) دل على أن الزهد في الدنيا يجلب محبة الله.

(٧) دل على أن الزهد في ما عند الناس يجلب محبة الناس.

(٨) الزهد من أعمال القلب كما قاله أحمد رحمه الله.

(٩) من أراد معرفة الزهد الحقيقي في الدنيا فلينظر إلى زهده - ﷺ - فإنه يجد أن حقيقة الزهد ألا يتعلق قلبه بالدنيا فيحبها ولا يعارض هذا طلب الرزق فيها والادخار من المال والطعام كما كانت حياته - ﷺ -.

صَلَاحُ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزُّهْدِ، وَالْيَقِينِ

-٣٤ – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَاحُ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزُّهْدِ، وَالْيَقِينِ، وَيَهْلِكُ آخِرُهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ»[٤٣]

أَنْفِقْ بِلَالُ وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا

-٣٥ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، دَخَلَ عَلَى بِلَالٍ وَعِنْدَهُ صُبْرَةٌ مِنْ تَمْرٍ، فَقَالَ: " مَا هَذَا يَا بِلَالُ؟ " قَالَ: تَمْرٌ ادَّخَرْتُهُ، قَالَ: " أَمَا تَخْشَى يَا بِلَالُ،

---

(١٠) الزهد فيما عند الناس يقتضي عدم تعلق القلب بما في أيدي الناس وقطع النفس من النظر لهم والتطلع لما عندهم ومداهنتهم في دين الله رجاء ما في أيديهم ولا يمنع هذا المبايعة والمتاجرة معهم والكسب وغير ذلك.

(١١) دل على أن من تعلق بالدنيا وقدمها لم يحبه الله،لأنه سيقدم الدنيا على أمر الله.

(١٢) دل على أن الناس يكرهون من طلب منهم وسألهم ما في أيديهم،وهذا مستقر في فطر الناس وقلو؟م.

(١٣) من زهد في الدنيا تعلق بما عند الله لأن القلب لا بد له من متعلق يتعلق به ويثق به ويطمئن إليه ولهذا من زهد في الدنيا أحبه الله.

(١٤) الحديث بين حقيقة الناس وأ؟م يحبون ما في أيديهم ويبغضون من سألهم إياه،ويسعون لمصالحهم ولو على حساب دين غيرهم،ولا يؤدون الحقوق الواجبة منهم،هذه حالهم فمن عرفها كيف يتعلق ؟م ويرجوهم ويقدم طاعتهم على طاعة الله؟!! الخلاصة في شرح الأربعين النووية- علي بن نايف الشحود (ص:١٠٦)

[٤٣] - الزهد لأحمد بن حنبل (ص:١٢) (٥٢) وشعب الإيمان (١٣/ ٢٩٠)(١٠٣٥٠و١٠٣٥١) وأمالي ابن بشران - الجزء الأول (ص:٢٣٢) (٥٣٤) صحيح لغيره

(صلاح أول هذه الأمة:بالزهد واليقين) إذ بهما يصير العبد خالصاً لله متواضعا له متوليا لمن والاه. (ويهلك آخرها بالبخل والأمل) قال الشارح:إنه وجد في أصول صحيحه:"وهلاك" وهذا الموافق لـ "صلاح" وذلك أن البخل لا يكون إلا من فقد اليقين وسوء الظن برب العالمين والتلذذ بالشهوات واستغراق القلب في ذلك حتى يطول الأمل،قال بعضهم:الأمل كالسراب يطمع من يراه ويخيب من رجاه،وتقدم فيه كلام كثير،وجعله هلاكا لأن من بخل منع الواجب ومن طال أمله أعرض عما فرض عليه وعن التوبة. التنوير شرح الجامع الصغير (٧/ ٤٧)

أَنْ يَكُونَ لَهُ بُخَارٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؟ أَنْفِقْ بِلَالُ وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا "[44]

احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ

-٣٦- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ».[45]

---

[44] - الزهد لأحمد بن حنبل (ص:١٢)(٤٦) وشعب الإيمان (٢/ ٤٨٣)(١٢٨٣) صحيح
«مِنْ تَمْرٍ فَقَالَ مَا هَذَا») أَي:التَّمْرُ " يَا بِلَالُ؟ قَالَ:شَيْءٌ ادَّخَرْتُهُ لِغَدٍ " أَيْ:لِحَاجَتِي فِي مُسْتَقْبَلٍ مِنَ الزَّمَانِ:" فَقَالَ:«أَمَا تَخْشَى أَنْ تَرَى لَهُ» " أَيْ:لِهَذَا الشَّيْءِ أَوِ التَّمْرِ غَدًا أَيْ:يَوْمَ الْقِيَامَةِ " «بُخَارًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ» " أَيْ:أَثَرًا يَصِلُ إِلَيْكَ فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ قُرْبِهِ مِنْهَا " يَوْمَ الْقِيَامَةِ " أَيْ:جَمِيعُ زَمَانِهَا أَوْ هُوَ تَأْكِيدٌ لِغَدٍ " أَنْفِقْ بِلَالُ " أَيْ:يَا بِلَالُ " وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا " أَيْ:فَقْرًا وَاعِدًا مَا،وَهَذَا أَمْرٌ إِلَى تَحْصِيلِ مَقَامِ الْكَمَالِ وَإِلَّا فَقَدْ جَوَّزَ ادِّخَارَ الْمَالِ سَنَةً لِلْعِيَالِ وَكَذَا لِضُعَفَاءِ الْأَحْوَالِ،قِيلَ:وَمَا أَحْسَنَ مَوْقِعَ ذِي الْعَرْشِ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَيْ:أَتَخْشَى أَنْ يُضَيِّعَ مِثْلَكَ مَنْ هُوَ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ؟ اهـ. أَوْ ذُو الْعَرْشِ كِنَايَةٌ عَنِ الرَّحْمَنِ كَقَوْلِهِ - تَعَالَى - {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:٥] أَيْ:أَتَخَافُ أَنْ يُخَيِّبَ أَمَلَكَ وَيُقَلِّلَ رِزْقَكَ مَنْ رَحْمَتُهُ عَمَّتْ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ وَالطُّيُورَ وَالدَّوَابَّ،قَالَ الطِّيبِيُّ:الَّذِي يَقْتَضِيهِ مُرَاعَاةُ السَّجْعِ أَنْ يُوقَفَ عَلَى إِقْلَالًا بِالْإِسْكَانِ أَوْ يُقَالَ يَا بِلَالًا لِلِازْدِوَاجِ كَمَا قِيلَ الْغَدَايَا وَالْعَشَايَا،أَقُولُ:هَذَا مِنَ التَّكَلُّفِ فِي السَّجْعِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ فِي الشَّرْعِ. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٣٣٢)

[45] - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٦٦٧) (٢٥١٦) صحيح

في هذا الحديث الوصية العظيمة من الرسول - ﷺ - حيث أرشد بحفظ أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه. وأن الله يحفظ من قام بذلك في حركاته وسكناته،وفي دنياه وآخرته،وأن الله سبحانه أمام العبد يعلم ما هو عليه،فلا يعلق العبد أموره وحاجاته بغير الله. بل يستعين بالله ويتوكل عليه في جميع أحواله وأموره إلا ما كان يقدر عليه الخلق. فيسأل الله سبحانه بأن يعطف عليه قلوبهم لينفعوه بما

يقدرون عليه،وأن الناس لو اجتمعوا كلهم وحاولوا بأقوالهم وأفعالهم على أن يجلبوا له نفعا أو يدفعوا عنه ضررا أو يخبروه لم يستطيعوا ضرره ولا نفعه إلا بأمر كتبه الله له أو عليه. وأن الإنسان إذا أطاع الله في الرخاء فإن الله يجعل له عند الشدة فرجا ومخرجا، وليرض كل عبد بما قدره الله عليه من خير وشر. ومع الشدائد والمحن يلتزم العبد الصبر،فإن الصبر مفتاح الفرج {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)} [الشرح].، {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} [الطلاق:٢]

ما يرشد إليه الحديث:

(١) جواز الإدراف على الدابة إذا كانت تطيق (٣) الأمر بالمحافظة على حقوق الله وحقوق المخلوقين.

(٣) أن الجزاء قد يكون من جنس العمل.

(٤) الأمر بالاعتماد على الله،والتوكل عليه دون غيره،إذ هو النافع الضار،قال الله تعالى:{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [يونس:١٠٧] وقدر ما يركن الشخص إلى غير الله عز وجل بطلبه،أو بقلبه أو بأمله قد أعرض عن ربه بمن لا يضره ولا ينفعه،خصوصا إذا كانت الحاجة التي يسألها مما لم تجر العادة بجريانه على أيدي الخلق كالهداية،وشفاء المرض،وحصول العافية من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة،ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ..

(٥) عجز الخلائق كلهم،وافتقارهم إلى الله عز وجل ..

(٦) التنبيه على أن دار الدنيا دار بلاء وامتحان فينبغي الصبر والرضى بالقضاء والقدر.

(٧) إن الخلق كلهم لو اجتمعوا على أن يخسروا أحدا أو ينفعوه لم يستطيعوا شيئا لم يقدره الله له أو عليه.

(٨) إن الله ينصر الصابر، وأن مع كل ضيق فرجا ومخرجا {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً}.

(٩) ذكر المعلم للمتعلم أنه يريد أن يعلمه قبل فعله،ليشتد شوقه إلى ما يعلم وتقبل نفسه عليه.

(١٠) فيه حث على التواضع لإردافه - ﷺ - خلفه و لم يستأثر بالدابة دون غيره.

(١١) فيه دلالة على اللين والملاطفة لاختيار ابن عباس الشاب الصغير رضي الله عنهما،بل ومحادثته في الطريق وتوصيته،وصدق الله إذ وصفه بقوله:{وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران:١٥٩]

(١٢) الاهتمام بتربية الصغار وهذا واضح من ظاهر الحديث.

(١٣) اختيار الجمل القصيرة في حال تعليم الصغار ليكون أسهل في الحفظ.

(١٤) بذل العلم للكبير والصغير لكن على قدر ما ينتفع به المتلقي،ولا يأنف الإنسان الذي آتـاه الله علماً من تعليمه للصغار أو من هو دوناً منه.

(١٥) ينبغي أن يذكر مقدمة مناسبة قبل التعليم تشوق المستمع لما يقال،كما فعل – ﷺ – في رواية هذا الحديث حيث قال " أعلمك كلمات ينفعك الله ؟ن "،لأن ابن عباس رضي الله عنهما إذا سمـع ذلك شحذ همته ليحفظهن ويعمل ؟ن.

(١٦) استغلال الوقت بما يفيد ففي حال ركوب ابن عباس رضي الله عنهما خلف النـبي – ﷺ – حرص – ﷺ – أن يقطع الوقت بما يفيد من تعليم أو تذكير.

(١٧) فيه الاهتمام بأمر العقيدة،فهذه الكلمات جميعها من أمور العقيدة.

(١٨) الجزاء من جنس العمل،فمن حفظ الله حفظه الله،ومن استعان بالله أعانه سبحانه.

(١٩) من تعلم هذه الكلمات انتفع بإذن الله لقوله – ﷺ – " أعلمك كلمات ينفعك الله ؟ن " فهذا يعطي أهمية للحديث.

(٢٠) يربي الحديث الاعتماد على الله سبحانه والتعلق به ورجاءه دون غيره.

(٢١) يقرر الحديث الأعمال القلبية من التوكل والاستعانة والتعلق والخوف والرجـاء لأ؟ا حيـاة الإنسان وأصل العقيدة.

(٢٢) من أراد حفظ الله من المكروهات والشرور والضرر فإضافة للأسباب المادية على الإنسان أن يحفظ أوامر الله.

(٢٣) من يحفظ أوامر الله يحصل على ثمرتين عظيمتين:

الثمرة الأولى:يحفظه الله من كل مكروه لقوله في جواب الشرط " يحفظك ".

الثمرة الثانية:يعينه الله في أموره المستقبلية ويجلب له الخير لقوله"احفظ الله تجده تجاهك ".

(٢٤) فيه تفسير لمعية الله الخاصة لعبادة المؤمنين كما هو مذهب أهل السنة والجماعة،وهذه المعيـة الخاصة في قوله " تجاهك " " أمامك " " يحفظك " " يعرفك في الشدة ".

(٢٥) صلاح الدنيا والآخرة للشخص على قدر حفظه لحدود الله،ولذلك قال في الحديث " احفظ الله يحفظك " وأطلق و لم يقيد الحفظ في المال أو الولد أو الصحة أو الدين،وهذا الإطلاق حتى يشـمل جميع ذلك.

(٢٦) إثبات اسم الله " الشكور " حيث أن من معانيه أنه يشكر العبد على أعماله فيعينه عليها أولاً ثم يتقبلها منه ثانياً ثم يجزيه عليها في الدنيا والآخرة فمن جزائه في الدنيا أنه يحفظ العبد وييسره له كل عسير وهذا من شكره سبحانه وتعالى لعبده.

(٢٧) التوجه والسؤال والحاجة لا تترل إّلا بالله وحده،فهو الذي يعطي ويمنع"إذا سألت فاسأل الله ".

وعَنْ عَبْد الله بْنِ عَبَّاسٍ ، كَذَا قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ الله – ﷺ – فَقَالَ: " يَا غُلَامُ ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَات لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَكَ بهنَّ؟ " قُلْتُ: بَلَى ، يَا رَسُولَ الله ، قَالَ: " احْفَظ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احفَظ اللهَ تَجدْهُ أَمَامَكَ ، تَعَرَّفْ إِلَى الله في الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّة ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بمَا هُوَ كَائنٌ ، فَلَو اجْتَمَعَ الْخَلْقُ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَمْ يَسْتَطِيعُوا ، وَلَو اجْتَمَعَ الْخَلْقُ أَنْ يَضُرُّوكَ بشَيْءٍ

---

(٢٨) قوله " إذا سألت فاسأل الله،وإذا استعنت فاستعن بالله " مرادف لقوله " {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة:٥] فإن السؤال عبادة لله.

(٢٩) جاء النص على السؤال دون غيره " إذا سألت فاسأل الله " لأن السؤال يجمع مقامات عالية منها:الذل والافتقار والتوجه والمسكنة والخروج من الحول والقوة وإنزال الفاقة بالمسؤول وإحسان الظن به،وا؟ام النفس بالقصور،ومعرفة قدرها وأ؟ا لا تملك ضراً ولا نفعاً.

(٣٠) من إحسان الله سبحانه أنه ييسر العبادة للشخص ثم يعينه عليها ثم يجازيه ؟ا والشخص لا حول له ولا قوة إّلا بإعانة المولى سبحانه فله الفضل أولاً وآخراً.

(٣١) يدل الحديث على أن الشخص ضعيف لا يملك لنفسه حولاً ولا قوة،حتى إعانته نفسه على ما يريد لا يقدر عليه إّلا بإعانة المولى سبحانه.

(٣٢) من أهداف الحديث تقرير مسألتين عظيمتين:الأولى:فقر الإنسان لربه،وأنه لا غنى له عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك وقطع الرجاء بالمخلوقين. الثانية:غنى الله عن جميع المخلوقين وكماله بذاته سبحانه.الخلاصة في شرح الأربعين النووية- علي بن نايف الشحود (ص:٥٧)

فهل تعتقد أن إنساناً تغلب على نفسه كل هذه المعاني عقيدة وشعوراً ووجداناً فتملأها صلابة وقوة يمكن أن تجد الأمراض النفسية إلى نفسه سبيلاً،كلا،وقد اعترف بذلك المنصفون من علماء النفس الحديث. وممن نادى بذلك (وليم جيمس) العالم الأمريكي فقال:إن أعظم علاج للقلق ولا شك هو الإيمان،وقال:الرجل المتدين حقاً عصيٌّ على القلق،محتفظ أبداً باتزانه،مستعد دائماً لمواجهة ما عسى أن تأتي به الأيام من صروف. وقال كارل يونج المحلل النفساني:" إن المرء المتدين حقاً لا يعاني قط مرضاً نفسياً " وأشار المؤرخ أرنولد توينبي إلى أن الأزمة التي يعاني منها الأوربيون في العصر الحديث إنما ترجع في أساسها إلى الفقر الروحي ومن هذا يتضح لنا أن من أهم وسائل الطب النفسي وقايةً وعلاجاً هو تقوية الإيمان والعقيدة واليقين.الأربعون الطبية (ت) علي بن نايف الشحود (ص:٢)

لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَمْ يَسْتَطِيعُوا ،فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ لِلَّهِ بِالرِّضَا وَالْيَقِينِ فَافْعَلْ ، وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا [٤٦]"

---

[٤٦] - شعب الإيمان (١٢/ ٣٥٤) (٩٥٢٨) صحيح

(تعرف إلى الله في الرخاء) بتشديد الراء أي تحبب إليه بشكر نعمته وعدم كفرانها والإحسان فيها كما أحسن الله إليه. (يعرفك في الشدة) أي بتفريجها عنك وإعانتك وإبعادك من كل ضيق فإنه تعالى إذا تعرفت إليه في حال الرخاء جازاك حال الشدة ولذا قال تعالى في يونس {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الصافات:١٤٤،١٤٣]،فأخبر أنه لما تقرب إليه في الرخاء أنجاه في الشدة وعكس ذلك في فرعون فإنه لما تنكر إلى ربه حال رخائه لم ينجه اللجأ عند بلائه فقال تعالى:{آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس:٩١].التنوير شرح الجامع الصغير (٥/ ٥٧)

فيه الْحَثُّ عَلَى التَّوَكُّلِ وَالرِّضَا وَنَفْيِ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ عَنْهُ،إِذْ مَا مِنْ حَادِثَةٍ مِنْ سَعَادَةٍ وَشَقَاوَةٍ وَعُسْرٍ وَيُسْرٍ،وَخَيْرٍ وَشَرٍّ،وَنَفْعٍ وَضَرٍّ،وَأَجَلٍ وَرِزْقٍ إِلَّا وَيَتَعَلَّقُ بِقَدَرِهِ وَقَضَائِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ جَرَى قَلَمُ الْقَضَاءِ بِمَا يَكُونُ،فَسِيَّانِ التَّحَرُّكُ وَالسُّكُونُ،فَيَجِبُ الشُّكْرُ فِي حَالِ السَّرَّاءِ،وَالصَّبْرُ فِي حَالِ الضَّرَّاءِ قَائِلًا كَمَا قَالَ تَعَالَى:{قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} [النساء:٧٨]- وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ - أَيْ:عَلَى الْأَعْدَاءِ - مَعَ الصَّبْرِ - أَيْ:عَلَى الْمِحَنِ وَالْبَلَاءِ -،وَأَنَّ الْفَرَجَ وَهُوَ الْخُرُوجُ مِنَ الْغَمِّ مَعَ الْكَرْبِ،أَيِ الْغَمِّ الَّذِي يَأْخُذُ بِنَفَسِ النَّفْسِ،وَلِذَا وَرَدَ:اشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِي {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح:٦] قَالَ شَارِحٌ:وَقَدْ وَقَعَتِ الْآيَةُ فِي الْقُرْآنِ مُكَرَّرَةً لِيُعْلَمَ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ عُسْرٌ إِلَّا مَعَهُ يُسْرَانِ،وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى الْقَاعِدَةِ الْمَشْهُورَةِ أَنَّ النَّكِرَةَ الْمُعَادَةَ غَيْرُ الْأُولَى،وَالْمَعْرِفَةَ الْمُعَادَةَ عَيْنُ الْأُولَى،لَكِنَّهَا غَالِبِيَّةٌ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى:{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ} [آل عمران:٢٦] لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ اللَّامَ الْأُولَى لِلِاسْتِغْرَاقِ،وَالثَّانِيَةَ لِلْجِنْسِ الَّذِي يَحْصُلُ بِوُجُودِهِ فَرْدٌ مِنْهُ،ثُمَّ قِيلَ مَعَ بِمَعْنَى بَعْدَ،وَهَذَا بَعِيدٌ عَنْ حَقِيقَةِ الْمَعْنَى،وَإِرَادَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْمَبْنَى حَيْثُ قَصَدَ مُعَاقَبَةَ أَحَدِهِمَا لِلْآخَرِ وَاتِّصَالَهُ بِهِ حَتَّى جَعَلَهُ كَالْمُقَارِنِ لِزِيَادَةٍ فِي التَّسْلِيَةِ وَالتَّنْفِيسِ،عَلَى أَنَّ الْمِحَنَ لَا تَخْلُو عَنِ الْمِنَحِ،بَلْ إِنَّهَا عَيْنُهَا {وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} [البقرة:٤٩] ،{وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت:٣٥] هَذَا وَقَدْ قَالَ الْقُطْبُ الرَّبَّانِيُّ وَالْغَوْثُ الصَّمَدَانِيُّ السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ - قُدِّسَ سِرُّهُ - فِي فُتُوحَاتِ الْغَيْبِ:يَنْبَغِي لِكُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْحَدِيثَ مِرْآةَ قَلْبِهِ وَشِعَارَهُ وَدِثَارَهُ

تَعسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، والدِّرْهَمِ، وَالْقَطِيفَة

-٣٧ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ -،قَالَ: «تَعسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ» "[٤٧]

وَحَدِيثُهُ،فَيَعْمَلَ بِهِ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ حَتَّى يَسْلَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،وَيَجِدَ الْعِزَّةَ فِيهَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٣٢٥)

[٤٧] - صحيح البخاري (٤/ ٣٤) (٢٨٨٦و٢٨٨٧)

[ش (تعس) سقط على وجهه أو شقي وهلك. (عبد الدينار) مجاز عن الحرص عليه وتحمل الذلة من أجله فمن بالغ في طلب شيء وانصرف عمله كله إليه صار كالعابد له. (القطيفة) دثار مخمل والدثار ما يلبس فوق الشعار والشعار ما لامس الجسد من الثياب. (الخميصة) كساء أسود مربع له خطوط. (أعطي) من المال. (رضي) عن الله تعالى وعمل العمل الصالح. (انتكس) انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة والخسران. (شيك) أصابته شوكة. (فلا انتقش) فلا قدر على إخراجها بالمنقاش ولا خرجت والمراد إذا أصيب بأقل أذى فلا وجد معينا على الخلاص منه. (طوبى) من الطيب أي كانت له حياة طيبة وجزاء طيب. (بعنان) لجام. (أشعث) متفرق الشعر غير مسرح. (إن كان في الحراسة) جعل في مقدمة الجيش ليحرسه من العدو. (كان في الحراسة) قام بها راضيا. (الساقة) مؤخرة الجيش. (تعسا) اللفظ من / محمد ٨ /. (طوبى) اللفظ من / الرعد ٢٩ /.وقيل هو اسم للجنة]

ما يؤخذ من الحديث:

١ - العبادة هي ما قصد بها وجه الله والدَّار الآخرة؛ فمن تعبَّد لأجل الدنيا،وليس له غرضٌ ولا مأربٌ سواها،فهذا رَكَن إلى الدنيا،وجعلها همه وغايته؛ وبهذا فقد تعس،وهلك،وسقط،وغرق في مسلكه،فلا قوام له،إلاَّ أنْ يتداركه الله تعالى بالتوبة النصوح.

٢ - فهذا قلبه وقالبه معلَّق بالدنيا،إنْ أُعطيَ منها،رضي،وحمد،وأثنى،وإنْ لم يعط،سخط،وتبرَّم،وقد وصف الله المنافقين بهاتين الصفتين؛ فقال تعالى:{وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨)} [التوبة].

٣ – قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في شرحه على كتاب التوحيد:وأما العمل لأجل الدنيا،وتحصيل أغراضها:إنْ كانت إرادة العبد كلها لهذا المقصد،و لم يكن له إرادةٌ لوجه الله والدَّار الآخرة،فهذا ليس له في الآخرة من نصيب؛ وهذا العمل لا يصدر من مؤمن؛ فإنَّ المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان لابُدَّ أنْ يريد الله والدَّار الآخرة.

وأمَّا من عمل لوجه الله ولأجل الدنيا،والقصدان متساويان،فهذا وإنْ كان مؤمنًا،فإنَّه ناقص الإيمان، والتوحيد،والإخلاص،وعمله ناقصٌ؛ لفقده كمال الإخلاص.

وأمَّا من عمل لله وحده،وأخلص في عمله إخلاصًا تامًّا؛ ولكنه يأخذ على عمله جُعلاً يستعين به على العمل والدِّين؛ كالجعالة التي تجعل على أعمال الخير،وكالمجاهد الَّذي يرتب على جهاده غنيمة أو رزق،وكالأوقاف التي تجعل على المساجد والمدارس،والوظائف الدينية التي يقوم بها،فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده؛ لكونه لم يرد بعمله الدنيا،وإنَّما أراد الدِّين،وقصد أنْ يكون ما حصل له معينًا على القيام بالدِّين.توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٧/ ٣٥٧)

الموضوعات الدعوية في الحديث :

أولا :من موضوعات الدعوة :التحذير من إرادة الدنيا دون الآخرة :

إن من موضوعات الدعوة تحذير الناس من إرادة الدنيا وإيثارها على الآخرة ؛ ولهذا قال ﷺ :« تعس عبد الدينار » . . " ،وقد حذر الله عز وجل من ذلك فقال :{ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا } .فينبغي للداعية أن يبين للناس خطر إرادة الدنيا ويحذرهم من ذلك ؛ لأن إرادة الدنيا والعمل لأجلها شرك ينافي كمال التوحيد الواجب ويحبط العمل،وإرادة الدنيا أعظم من الرياء ؛ لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله،وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل ولا يسترسل معه،والمؤمن يكون حذرا من هذا وهذا .

فمن كانت الدنيا هَمّه وطلبه،ولها يعمل،ولها يسعى،وإياها يبتغي،ولا يرجو ثوابا من ربه،ولا يخاف عقابا على عمله،عجَّل له فيها ما يشاء وما له في الآخرة من نصيب ؛ قال اللّه عز وجل :{ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ } .

وهذه حال من عبد المال،وقدَّمَ الاهتمام به على أمور الآخرة،ورضي من أجْله وسخط من أَجْله ؛ قال اللّه عز وجل :{ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ } .

فرضاهم لغير الله،وسخطهم لغير الله،وهكذا حال من كان متعلقا برئاسة أو بغير ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضي وإن لم يحصل له سخط،فهذا عبد ما يهواه من ذلك،وهو رقيق لــه ؛ لأن الــرق والعبودية في الحقيقة رق القلب وعبوديته،فما استرقَّ القلب واستعبده فهو عبده ؛ لأن العبد حرّ مــا قَنِعَ،والحر عبد ما طَمِعَ،وطالب المال الذي لا يريد إلا المال يستعبده ويسترقه،وهذه الأمور نوعــان :منها ما يحتاجه العبد :من طعامه،وشرابه،ومسكنه،ومنكحه،ونحو ذلك،فهذا يطلبه من الله ويرغــب إليه فيه مع بذل الأسباب،ويكون المال عنده يستعمله في حاجاته بمترلة حماره الذي يركبه،وبســاطه الذي يجلس عليه،بل بمترلة الكنيف الذي يقضي فيه حاجته من غير أن يستعبده،ومنها ما لا يحتــاج العبد إليه،فهذه ينبغي أن لا يعلق قلبه بها .

ثانيا :من أساليب الدعوة :الترهيب :

لا شك أن أسلوب الترهيب من أساليب الدعوة،ولهذا قال ﷺ في هذا الحــديث :« تعــس عبــد الدينار،والدرهم،والقطيفة،والخميصة » فدعا عليه ﷺ بأن يسقط وينكب على وجهه،وكرر ذلــك بقوله :« تعس وانتكس » وهذا دعاء عليه بأن ينقلب على رأسه،وهو دعاء عليه بالخيبة والخسارة،ثم قال :« وإذا شيك فلا انتقش » وفي الدعاء بذلك إشارة إلى عكس مقصوده ؛ لأن من عثر فدخلت في رجله الشوكة فلم يجد من يخرجها يصير عاجزا عن الحركة والسعي في تحصيل الدنيا قال ابن حجر رحمه الله :" وسوغ الدعاء عليه لكونه قصر عمله على جمع الدنيا،واشتغل بها عما أمر به من التشاغل بالواجبات والمندوبات " .

فينبغي للداعية أن يستخدم أسلوب الترهيب في دعوته إلى الله عز وجل

ثالثا :من صفات الداعية :القناعة :

دل الحديث على أن من صفات الداعية القناعة ؛ لقوله ﷺ :« إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض » ،وهذا يؤذِن في شدة حرصِ طالب الدنيا عليهما وجمعه لأموالها،وطمعه فيما في أيدي الناس أمــا العبد الصادق مع الله عز وجل فهو يعلم أن الدنيا متاع زائل ؛ لقوله عز وجل :{ وَمَا أُوتِيتُمْ مِــنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ }

فينبغي للداعية إلى الله عز وجل أن يقنع بما أعطاه الله ويذكر دائما قولــه ﷺ :« قــد أفلــح مــن أسلم،ورزِق كفافا وقنعه الله بما آتاه »

رابعا :من صفات الداعية :الإخلاص :

ظهر في مفهوم هذا الحديث أن من صفات المسلم الصادق مع الله عز وجل الإخلاص ؛ لأن قوله ﷺ :« تعس عبد الدينار،والدرهم،والقطيفة،والخميصة،إن أعطي رضي وإن لم يعطَ لم يرضَ » يدل على

أن المتحتم على العبد أن يجعل نيته ومقصده لله وحده لا شريك له ؛ ولهذا قال ﷺ :« من أحب لله،وأبغض لله،وأعطى لله،ومنع لله،فقد استكمل الإيمان » .

فينبغي للعبد المسلم أن يجعل همه طاعة الله ورسوله،يبتغي ثواب الله،ويخشى عقابه،ويطمع في رضاه .

خامسا :من أساليب الدعوة :الترغيب :

دل هذا الحديث على أسلوب الترغيب،وذلك في قوله ﷺ :« طوبى لعبد اخذ بعنان فرسه في سبيل الله » وهذا فيه ترغيب وحث على العمل بما ينفع المسلم ويعود عليه بالخير،قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :وفي قوله ﷺ :" طوبى " " إشارة إلى الحض على العمل بما يحصل به خير الدنيا والآخرة " فقد دعا ﷺ بالجنة لمن عمل هذه الأعمال .

فينبغي للداعية أن يرغب المدعوين في كل ما يعود عليهم بالنفع في الدارين .

سادسا :من صفات الداعية :الزهد :

إن المسلم الصادق هو الزاهد في الدنيا الذي لا يرغب في رئاستها،ولا حب الشهرة والظهور بدون عمل ؛ ولهذا قال ﷺ :« طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه » فقد انصرف عن حظوظ وخواص نفسه إلى الجهاد وما يقتضيه،حتى إن شعره لم يدهن،وعلى قدميه الغبار .

فينبغي أن يكون الداعية زاهدا في الدنيا راغبا فيما عند الله عز وجل .

سابعا :من صفات الداعية :إتقان العمل :

إن من الصفات الحميدة :إتقان العمل كما يحبه الله عز وجل ؛ ولهذا قال النبي ﷺ :« " إن كان في الحراسة كان في الحراسة،وإن كان في الساقة كان في الساقة » أي يكون كاملا في تلك الحالة،فلا يخاف الانقطاع،ولا يهتم بالسبق بل يلازم عمله،وما هو لأجله وهذا يدل على عنايته بما أمر به،وملازمته لعمله وإتقانه له،فإن كان في الحراسة في مقدمة الجيش أتقنها، لئلا يهجم عليهم العدو،وإن كان في الساقة في مؤخرة الجيش أقام حيث أقيم لا يفقد من مكانه بحال .

فينبغي للداعية إذا عمل عملا أن يتقنه ؛ لأن الله عز وجل يحب ذلك .

ثامنا :من صفات الداعية :التواضع :

ظهر في الحديث أن من الصفات الجميلة التواضع ؛ ولهذا قال ﷺ :« إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفّع » قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :" فيه ترك حب الرئاسة والشهرة،وفضل الخمول والتواضع " فهو إن استأذن لم يؤذن له ؛ لعدم ماله وجاهه،وإن شفع في ما يحبه الله ورسوله لم تقبل شفاعته . قال الطيبي رحمه الله :« إن استأذن لم يؤذن له » ، " إشارة إلى عدم التفاته إلى الدنيا وأنَّها

مَا لِي وَللدُّنْيَا

-٣٨ – عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى النَّبِيِّ – ﷺ – وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِه، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اتَّخَذْتَ فِرَاشًا أَوْثَرَ مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ:"يَا عُمَرُ مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، وَمَا لِلدُّنْيَا وَلِي، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا"[٤٨]

عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير

-٣٩ – عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[٤٩]

بِهَا بحيث يعتني بكليته في نفسه :لا يبتغي مالا ولا جاها عند الناس،بل يكون عند الله وجيها،ولم يقبل الناس شفاعته،وعند الله يكون شفيعا مشفعا " فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري (٢/ ١٠٠)

[٤٨] – تهذيب صحيح ابن حبان (١ – ٣) علي بن نايف الشحود (٣/ ٩١)(٦٣٥٢) (صحيح)
(فَقَالَ:" مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ وَمَا أَنَا وَالدُّنْيَا ") :" مَا " نَافِيَةٌ أَيْ:لَيْسَ لِي أُلْفَةٌ وَمَحَبَّةٌ مَعَ الدُّنْيَا وَلَا لِلدُّنْيَا أُلْفَةٌ وَمَحَبَّةٌ مَعِي حَتَّى أَرْغَبَ إِلَيْهَا،وَأَنْبَسِطَ عَلَيْهَا،وَأَجْمَعَ مَا فِيهَا وَلَذَّتَهَا أَوِ اسْتِفْهَامِيَّةٌ أَيْ:أُلْفَةٌ وَمَحَبَّةٌ لِي مَعَ الدُّنْيَا أَوْ أَيُّ شَيْءٍ لِي مَعَ الْمَيْلِ إِلَى الدُّنْيَا أَوْ مَيْلِهَا إِلَيَّ،فَإِنِّي طَالِبُ الْآخِرَةِ وَهِيَ ضَرَّتُهَا الْمُضَادَّةُ لَهَا. هَذَا وَقَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ،قَوْلُهُ:وَنَعْمَلُ مُتَعَلِّقَةٌ مَحْذُوفٌ،فَيُقَدَّرُ مِنْ جِنْسِ الْكَلَامِ السَّابِقِ،وَهُوَ وُجُودُ التَّنَعُّمِ وَالتَّلَذُّذِ بِالْأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ بِسَاطًا،وَمِنْ ثَمَّ طَابَقَهُ قَوْلُهُ:" مَا لِي وَلِلدُّنْيَا " أَيْ:لَيْسَ حَالِي مَعَ الدُّنْيَا. (" إِلَّا كَرَاكِبٍ ") أَيْ:إِلَّا كَحَالِ رَاكِبٍ (" اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ،ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا ") :وَهُوَ مِنَ التَّشْبِيهِ التَّمْثِيلِيِّ،وَهُوَ التَّشْبِيهُ بِسُرْعَةِ الرَّحِيلِ:وَقِلَّةِ الْمُكْثِ،وَمِنْ ثَمَّ خَصَّ الرَّاكِبَ وَاللَّامُ فِي لَلدُّنْيَا مُقْحَمَةٌ لِلتَّأْكِيدِ إِنْ كَانَ الْوَاوُ بِمَعْنَى " مَعَ " وَإِنْ كَانَ لِلْعَطْفِ،فَالتَّقْدِيرُ مَا لِي مَعَ الدُّنْيَا وَمَا الدُّنْيَا مَعِي.مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٤٧)

[٤٩] – تهذيب صحيح مسلم- علي بن نايف الشحود (ص:١٠٥١)(٢٩٩٩)
" عَجَبًا ") أَيْ:عَجِبْتُ عَجَبًا (" لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ") أَيْ:لِشَأْنِهِ وَمَا لَهُ فِي كُلِّ حَالِهِ (" إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ ") :بِالنَّصْبِ وَيَجُوزُ رَفْعُهُ كَمَا قُرِئَ بِالْوَجْهَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} [آل

نِعْمَتَان مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ

-٤٠ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ " [٥٠]

عمران:١٥٤] أَيْ:جَميعَ أُمُورِه. (لَهُ خَيْرٌ) أَيْ:خَيْرٌ لَهُ فِي الْمَآلِ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُ شَرًّا صُورِيًّا فِي الْحَالِ،وَقَدَّمَ الظَّرْفَ اهْتِمَامًا (" وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ") :قَالَ الطِّيبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:مُظْهَرٌ وَقَعَ مَوْقِعَ الْمُضْمَرِ لِيُشْعِرَ بِالْعِلِّيَّةِ،انْتَهَى. وَفِيهِ أَنَّ الْإِظْهَارَ وَالْإِضْمَارَ مُسْتَوِيَانِ فِي الْإِشْعَارِ بِالْعِلِّيَّةِ،وَلَعَلَّ النُّكْتَةَ هِيَ إِظْهَارُ الْإِشْعَارِ عَلَى وَجْهِ التَّصْرِيحِ،فَإِنَّهُ آكَدُ مِنْ طَرِيقِ التَّلْوِيحِ،ثُمَّ بَيَّنَهُ عَلَى وَجْهِ التَّوْضِيحِ بِقَوْلِهِ:(" إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ ") أَيْ:نَعْمَاءُ وَسَعَةُ عَيْشٍ وَرَخَاءٌ وَتَوْفِيقُ طَاعَةٍ مِنْ أَدَاءٍ وَقَضَاءٍ (" شَكَرَ فَكَانَ ") أَيْ:شُكْرُهُ (خَيْرًا لَهُ،وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ) :أَيْ:فَقْرٌ وَمَرَضٌ وَمِحْنَةٌ وَبَلِيَّةٌ (صَبَرَ فَكَانَ) أَيْ:صَبْرُهُ (" خَيْرًا لَهُ ") :وَبِهَذَا تَبَيَّنَ قَوْلُ بَعْضِ الْعَارِفِينَ أَنَّهُ لَا يُقَالُ عَلَى الْإِطْلَاقِ:أَنَّ الْفَقِيرَ الصَّابِرَ أَفْضَلُ مِنَ الْغَنِيِّ الشَّاكِرِ،بَلْ حَالَةُ التَّفْوِيضِ وَالتَّسْلِيمِ أَوْلَى،وَالْقِيَامُ بِمُقْتَضَى الْوَقْتِ أَعْلَى بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَتَفَاوُتِ الرِّجَالِ. قَالَ تَعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ:{وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢١٦] وَقَالَ تَعَالَى:{إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} [الإسراء:٣٠] .

وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ:(«إِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْفَقْرُ فَلَوْ أَغْنَيْتُهُ لَفَسَدَ حَالُهُ،وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْغِنَى فَلَوْ أَفْقَرْتُهُ لَضَاعَ حَالُهُ») :لِذَا قَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ -:الْفَقْرُ وَالْغِنَى مَطِيَّتَانِ لَا أُبَالِي أَيَّتَهُمَا أَرْكَبُ. وَعَلَى هَذَا الِاخْتِلَافِ الْوَاقِعِ بَيْنَ الْقَوْمِ فِي طَلَبِ طُولِ الْعُمُرِ لِطَاعَةِ اللَّهِ،أَوْ طَلَبِ الْمَوْتِ لِخَوْفِ الْفِتْنَةِ،أَوْ لِلِاشْتِيَاقِ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى،ثُمَّ الْمُعْتَمَدُ التَّفْوِيضُ وَالتَّسْلِيمُ،كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ - ﷺ - فِي دُعَائِهِ:" «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي،وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي،وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ،وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» " ثُمَّ وَجَّهَ حَصْرَ الْخَيْرِ فِي كُلِّ حَالٍ لِلْمُؤْمِنِ الْكَامِلِ ؛ لِأَنَّ غَيْرَهُ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَبِعَ وَبَطِرَ،وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ جَزِعَ وَكَفَرَ،بِخِلَافِ حَالِ الْمُؤْمِنِ،فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ بَعْضُ أَرْبَابِ الْكَمَالِ:إِذَا كَانَ شُكْرُ نِعْمَةِ اللَّهِ نِعْمَةً عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّسَعَ الْعُمُرُ إِذَا مَسَّ بِالنَّعْمَاءِ عَمَّ سُرُورُهَا وَإِنْ مَسَّ بِالضَّرَّاءِ أَعْقَبَهُ الْأَجْرُ .مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٣١٧)

[٥٠] - صحيح البخاري (٨/ ٨٨)(٦٤١٢)

[ش - (مغبون فيهما) أي ذو خسران فيهما. قال ابن الخازن النعمة ما ينتعم به الإنسان ويستلذه. والغبن أن يشتري بأعاف الثمن أو يبيع بدون ثمن المثل. فمن صح بدنه وتفرغ من الاشتغال العائقة

و لم يسمع لصلاح آخرته فهو كالمغبون في البيع والمقصود بيان أن غالب الناس لا ينتفعون بالصحة والفراغ بل يصرفونهما في غير محالهما. فيصير كل واحد منهما في حقهم وبالا. ولو أنهم صرفوا كل واحد منهما في محله لكان خيرا لهم أي خير.]

معنى الحديث:يقول – ﷺ –:" نعمتان " عظيمتان جليلتان " مغبون فيهما كثير من الناس " أي لا يعرف قدرهما ولا ينتفع بهما كثير من الناس في حياته الدنيوية والأخروية،وهما:" الصحة " أي صحة البدن والنفس وقوتهما " والفراغ " أي خلو الإنسان من مشاغل العيش وهموم الحياة وتوفر الأمن والاطمئنان النفسي،فهما نعمتان عظيمتان،لا يقدرهما كثير من الناس حق قدرهما،ولا ينتهزون فرصة وجودهما في الأعمال النافعة،بل يدعونها تمر دون فائدة،حتى إذا مرت وفاتت الفرصة،وتبدلت الصحة مرضاً،والقوة ضعفاً،والفراغ شغلاً،تنبهوا من غفلتهم،وشعروا بالندم،وأدركوا أنهم قد خسروا نعمة صحتهم وفراغهم،فغُبنوا،وحزنوا أشد الحزن على ما فرطوا فيه فكان مثلهم في ذلك كمثل التاجر الذي يبيع سلعته بخسارة،حتى إذا شعر بأنه قد نقص رأس ماله حزن وندم على ما وقع له بسبب غفلته. وتفريطه.

فقه الحديث:دل هذا الحديث على ما يأتي:أولاً:الترغيب في انتهاز الفرص المواتية من صحة وفراغ،ومال،ومركز،وجاه،والاستفادة منها فيما يرضي الله تعالى لأن الفرصة قلما تعود إلى صاحبها مرة أخرى،فالعاقل من ينتهزها،ويغتنمها في طاعة الله،وقد جاء في الحديث عن النبي – ﷺ – أنه قال:" لم يتحسر أهل الجنة إلاّ على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها ".ثانياً:قال السيوطي:في معنى قوله – ﷺ –:" نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس " معناه أن الإنسان لا يتفرغ للطاعة إلاّ إذا كان مكفياً صحيح البدن،فقد يكون مستغنياً،ولا يكون صحيحاً،وقد يكون صحيحاً ولا يكون مستغنياً،فلا يكون متفرغاً للعلم والعمل لشغله بالكسب،فمن حصل له الأمران:" الصحة والفراغ " وكسل عن الطاعات فهو المغبون الخاسر. في تجارته. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٥/ ٢٨٨)

الفهرس العام